

رواية
« في حروف القاهرة »

اسم الكتاب : في حروف القاهرة
تأليف : كريم يوسف
تصميم الغلاف : جاد
التصحيح اللغوي : د. احمد عبد الحي - ا/ احمد العربي
خط يدوي : ا/ عمر علام
رقم الإيداع : ٢٩٤٨٩ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي : ISBN:
978-977-835-032-6

زحمة كتاب للثقافة والنشر - ١٥ ش السباق مول الميريلاند
مصر الجديدة - القاهرة
تليفون: 01205100596

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

All rights are reserved. No part of this book
may be reproduced ,stored in a retrieval
system, or transmitted in any form, or by any
means without prior permission in writing
from publisher

«في حروف القاهرة»

(رواية المستقبل)

للمؤلف

كريم يوسف

إهداء إلي

شارعنا الجانبي . والفرن اللي تحت البيت . وللناس القليله اللي
حبتنا . والحزن المتغطي بضحكه . والعلم اللي طلع فاشوش . إهداء
للسؤال اللي من غير جواب . والاجابة اللي اختارتلها السكات .
إهداء للعامل الغلبان . والشاب اللي عنده حلم واللي معندهوش .
إهداء الي الوطن اللي طلع منا العفن ومدارهوش . إهداء لمدرستي
القديمه وصحاب زمان . لوشوش عدت علينا وحبناهم ومحبتناش .
ولحد مات وجوانا عاش ولحد عايش وجوانا مات . إهداء لأمي
الحبيبه . لحاجات كان نفسي فيها ومطلتهاش . ولحاجات خذنها
ومنستحقهاش . إهداء للورقه والقلم .
والأخير..... إهداء إلي الصديقه اللي غابت . ولما رجعت ماتت .

الموتُ شيءٌ حتميٌّ .. والانتحار خيارِي .

إن كنت مسيرًا فأنتظر الموت ، وإن كنت مخيرًا فأقبل على
الانتحار .

هذا ما يقع فيه أبطال الرواية .

تمهيد أول

كل ما يُذكر في الرواية وُجد بداخل مذكرات لمرضى انفصام، باسم

(رواية المستقبل)

وإن وُجد ما يشابه الواقع فهو من خيال مريض... وإن خدش حياء
أحدهم.. فأنت مخير أيها القارئ وبمحض إرادتك أن تدفع من مالك
كي تشتري هذه الرواية، أو حتى تضعها على جهازك مسروقة... فقط
أنت مخير. ولا داعي للمزايدة.

تمهيد ثان

القاهرة ٢٠١٤

(البار العتيق بوسط البلد)

المكان مظلم... يجب أن تنحني قليلاً حتى تستطيع الدخول من الباب.... وعندما تعلو بنظراتك ترى كل من في المكان لم ينتبهوا لدخولك رغم صغر حجم المكان لكنني منتبه تماماً.... فالجميع لا يتكلمون ولكن عيونهم تقول الكثير.... يجلس الجميع وأمام كلٍ منهم كأسٌ من البرندي المصري الرخيص أو زجاجات ستيل... تلك البيرة المصرية التي طالما أحببتها.
خلفية صوت أم كلثوم جعلتهم جميعاً في زمن آخر....

نجلس لتبتسم لي "يارا" وهي تعرف أن المكان راقني كثيراً، فلا تريد أن تتحدث في البداية حتى أشبع نظري وإحساسي بالمكان، فالحوادث

الخشبية جعلتني أشعر وكأنها كائنٌ حيٌّ يتحدثُ إليّ . . . فلقد مر
عليها الكثير، فهنا كان يجلس الحزين والكريم ، الضاحك والباكي ،
المتألم والعاشق . وأيضاً من كان مثلي يأخذ من عبق المكان إحساس
النشوة للمستقبل حتى يصبح يوماً عتيقاً، يشعر به من يجلس بعدي
بدون معرفته

نعم كل هذا نطقت به الحوائط الخشبية!!!!

هنا في البار العتيق في وسط البلد

أضفنا له لمحة عن الحاضر الغائب عنه، فابتسامة عين صديقتي التي دوماً
سأظل أحبها، أصبحت واحدة من تلك الأعين المعلقة على الجدران
التي يوماً ما سوف تحكي عنا؛ عن صداقةٍ بدأنا أن نحفرها على
الجدران هنا .

"في البار العتيق بوسط البلد"

"يارا"

– بتصوري؟! –

كان يتحدث بثقل من كثرة شرب البيرة . لم ينتبه للجرسون الذي بدأ أن يتأفف بسبب الجلوس لوقت متأخر، هذا الجرسون الذي بدأ يعمل هنا منذ أيام قليلة فقط ولا يعرف أننا الزبائن المفضلون لدى المكان منذ أكثر من عامٍ عندما أتيت به هنا أول مرة، وبدأ يتعلق بالمكان بشكل هستيري، يرى فيه عبق التاريخ الذي طالما افتقده في حياته العادية

– أجبلكو مزة ثانية ولا إزازتين بيرة؟

نطقها الجرسون وكاد أن يرمي بوجهنا قشر الترمس الذي غمر الطرابيزة والأرض .

– شكراً... ومتجيش تاني إلا لما أئده عليك ..

قالها للجرسون ولم تكن عادته أن يتعامل بهذا الشكل مع من يقدمون له الطلبات سواء في المقاهي أو البارات أو حتى الأماكن الفاخرة .. كان دائماً يقول :

– متعرفيش هو أحسن مننا قد إيه ولا تعرفي حوجته اللي خلته يخدم

علينا .

نظر إلينا الجرسون بحقد فلم أجد سوى أن أعتذر له . . .

- معلش هو ثقل في الشرب .

انتبهت قليلاً بعد أن أطفأ الجرسون الأضواء الساطعة وترك لنا لمبة صفراء وحيدة لتنير وجهه فقط . وقد بدا لي كالشبح المهزوم وبدأ في البكاء .. همهم بكلماتٍ لم أسمع منها شيئاً سوى :

- صدقيني الحياة في مصر بقت غير آدمية !!

لم يسعني فعل شيءٍ سوى أن أحتضنه بقوة . . دفعني بشدة ونظر إليّ وقال :

- يارا توعديني الفيديو ده يوصل للناس؟؟

هنزت رأسي وأنا لا أعلم إن كان من الجيد مناقشته الآن وإن كنت سوف أنفذ ما قاله أو لا!! أوقفت التصوير بعد أن طلب مني ذلك . وأراد الخروج لتمشى قليلاً في هدى الشعراوي . فقد أصبحت الآن الثالثة صباحاً؛ ولكنه دوماً اعتاد أن يتمشى قليلاً من " بار الكاب دور " إلى محطة رمسيس ويتجه إلى بيته ونفترق . أنا في محطة " السادات " وهو يكمل إلى رمسيس . أسندته بيدٍ حتى يقف وأخذت الكاميرا

باليد الأخرى . انحنينا قليلاً حتى نخرج من هذا البار، لنجد نسمة هواءٍ منعشة قد اعتدنا عليها في مثل هذا الوقت من السنة وفي هذا التوقيت المتأخر... استنشقت جرعةً كبيرةً من الهواء وكأنه يفيق بها من غيباته وسكره، لنجد ثلاثة شباب لم ينتبه لهم؛ فقد كان دائم الحرص على البعد عن تلك الصبغة من الشباب التي بدأت بالظهور في بداية الألفينات وطفحت بعد ٢٠١١ .

لم تكتمل استقامته أو إفاقته لينتبه لما يفعلونه من حركات باليد ضامين كف يدهم، تعبيراً عما بداخلهم.. تلك الحركة التي اشتهر بها المصري الذكر عندما يسب أو يتحرش، أو كناية عن رغبته في الجنس . حاولت ألا ينتبه لهم حتى لا يحدث ما حدث!!

فقد فاق من سكرته على أحدهم يقول: - ماتسيبها وخذ عرقها .

لم أر قط -رغم أنني دكتورة- عروق أحدهم تنفر في وجهه أو يد مثل هكذا؛ فقد أحسست بحرارة جسده وكأنه بركانٌ على وشك الانفجار . ولم أنتبه لخطواته السريعة عندما أسقط هذا الشاب أرضاً . لم يتوقف الغضب هنا! ظل الصراع وأنا أحاول جاهدةً أن أفرقَ بينه وبينهم . لم أجد في الشارع سوى مجموعة من أطفال الشوارع يهتفون للأقوى، واثنين من المتسولين ليلاً لم يبالوا لما يحدث . توقف العراك بعد أن رفع أحدهم عرق خشب من تلك الخرابة واستقر بها فوق رأسه!

هنا فقط سقط على الأرض، وسقطتُ فوقه خوفاً عليه . فلم يسعهم إلا إن جعلوا من ظهري ومؤخرتي مركزاً لأصابعهم الوسطى . لن أنسى يوماً دموعي الممزوجة بدمائه ! لم أنس يوماً وخز أصابعهم القاتلة لي ، وإثبات رؤيته للمجتمع الذي أصبحنا نعيش فيه .

كان يلقب المجتمع المصري بعد ٢٠١١ بالمجتمع الحيواني الذي فك له سرجه وأصبح يطيح بالكل . ولا يستطيع أن يوقفه إلا سكينه الجزار أو الحبس مرةً أخرى . لم أعرف هل الدماء على الأرض هي دموعي الثاقبة من قلبي أم من رأسه!!

توقفوا عندما سمعنا تلك السرينة الممزوجة بالضوء الأحمر والأزرق تقترب .. تفرقوا وتفرقت معهم روحي . لم يعد لهم أثر ولكن ظل من فستاني بعض البقايا على جسدي بعد أن أصبحت ملابسي الداخلية لوحاً ملوثةً بالدماء؛ مما جعلها منظرًا يتأمله هذا الأمين، الذي أوقف سيارة الأتاري التي تدور في شوارع وسط البلد ليلاً، ثم ارتجل منها ليقول : - إيه ده؟؟!! إيه إلهي إنتي عاملاه في نفسك ده؟! لم أفهم السؤال ولم أستطع الرد عليه غير بنظرة مليئةً بالقهر والدموع . - عايزة أعمل محضر .

—الساعة الثامنة صباحاً، وقد خرجنا للتو من قسم الأزيكويه بعد ثلاث ساعات في عربية الأتاري.. كي يحصد الأمين بقية الاتاوة من المقاهي الساهرة في وسط البلد. ولم يأبه إن كنا في الخلف ويوجد معي فردٌ مُصابٌ في رأسه! كلما ذكرته بأنه يجب أن يذهب إلى المستشفى يرد قائلاً:

— ورايا شغل هخلصه ونروح نعمل محضر، وبعدين مش أحسن ما تمشي دلوقتي بهدومك ديه....

لم تعد لدي الطاقة للنقاش أو الهجوم؛ بعد أن اطمأنت عليه بعد أن أفاق وهو ينظر إليّ قائلاً:

—خلينا في العربية لحد ما محل يفتح ونشتريلك حاجة تلبسيها.

نبرة الأسي التي تخللت صوته جعلتني أستسلم لرغبته. للمرة الأولى أراه بهذا الانكسار وبهذه الروح المعدومة!! فهو الطفل الرجل الضاحك دائماً!! وصلنا أخيراً لقسم الشرطة. يتحرك أماننا الأمين ونحن خلفه في تلك الطريقة منخفضة الإضاءة التي تشبه ممر السجون التي نراها في الأفلام.. فتح الضابط باب مكتبه قبل أن يطرق الأمين الباب وكأنه ينتظرنا. لا أعلم إذا كان يتربص وصولنا كي يرى ما يجب فعله أو أنه

اراد أن يكمل الفرجة عليّ

جاء رد سؤالي عندما رأيتُ تلك الابتسامة على وجهه وهو يدخن
السيجارة واستجوبني وعينه في عيني ويتحسس جسدي الشبه عاري
أمامه بعينه؛ وكأن صديقي غير موجود في المكتب . . .

-إيه بقى اللي حصل؟؟-

سردت له ما حدث

-وإنتوا بقى عايزين تعملوا محضر في مين؟ قالها مستنكرا

-في اللي ضربوه وعملوا فينا كدة . . .

أبغتنى رد صديقي قاطعاً حديثي مع الضابط؛؛

-محضر فيك وفي الأمين .

قالها بكل ثقة! هل مازال تحت تأثير البيرة، أم هو واعٍ لما يقوله؟! وهو
دائم القول بأن عائلة النسر لا يمكن أن تشكو فرداً من أفرادها لآخر
وينصفك!!!

رد الضابط بسخرية:

-يا حبيبي ده على أساس إيه؟ إنكوا مقفوشين في وضع مخل في

الطريق العام وهي نايمه فوقيك، ولا محضر سكر بين ولا الإيتجار في
الحشيش؟!!

ثم أخرج من درج المكتب قطعة من الحشيش ووضعها أعلى مكتبه.
نظر إليّ صديقي العزيز مبتسماً بانكسار وقال:

—مش قولتلك بلاش نروح القسم لأن دول اللي هياخدوا حقنا!! ثم
استطرد كلامه موجهاً إلى الضابط.

—وايه المطلوب نروح ولا نعمل إيه؟

—شوف إنت عايز إيه؛ عايز تاخدها وتمشي أنا ما شفتكومش.. عايز
تعمل محضر خليك معنا شوية...

بدون كلمة واحدة أمسك بيدي وخرجنا إلى الطريقة المؤدية لخارج
القسم، ثم وقف وخلع عنه قميصه الملطخ بالدماء ووضع عليّ بعد
أن أصر أن أرتدي بنطلونه أيضاً!! رغم فرق الحجم بيننا. وأصبح هو
بملابسه الداخلية فقط!! أصبح المشهد في صمته بالمشهد السريالي
الباهت الذي يختلط بك الأمر في فهمه، وتدور في رأسك جميع
الأسئلة الوجودية والعدمية؛ لماذا وكيف؟ وأين؟ ومن؟ وهل من
الطبيعي؟!!

جلس على الأرض ينفض عنه غصّة قلبه ودموعه بداخل عينه التي كادت تنفجر من القهر، حتى رأى عسكري أعطاه مبلغاً من المال ليشتري له بنطلون وتي شيرت من الرصيف الذي يوجد في ميدان رمسيس . وأعطاه مبلغاً أكبر ليوافق أن يترك خدمته ربع ساعة

ارتدى تلك الملابس التي عكست تماماً حالته، فقد أصبح الشكل مطابقاً للروح المفقودة . مع القميص البرتقالي والبنطلون الأزرق؛ التي لولا ما حدث ما ارتدى هذا الذوق الباهت . . فكان رائعاً في اختيار ألوانه . أوصلني إلى محطة جمال عبد الناصر واعتذر بأنه لا يستطيع أن يوصلني إلى السادات . وهو يعلن الهزيمة كما فعلها من قبل من سُميت باسمه تلك المحطة؛ ولكن هو قرر الانسحاب والآخر استمر في غروره! لم ينطق بكلمة واحدة . فقط ظل مطأطي الرأس! لم يرم عليّ السلام ولم يعطيني من حضنه كما اعتدنا في آخر كل لقاء! فقد كان يعانقني بشدة وكلما سألته لماذا تحضن بتلك الشدة؟

يرد إنها روعي التي تعانقك . تيقنت أن روحه ذهبت اليوم وعرفت أن اللقاء القادم سيطول انتظاره . أعطاني ظهره ورحل مختلف الهيئة مطأطأ الرأس والأكتاف . . . أعطاني ظهره والدموع تملأ قلبي .

(مذكرة ١)

القاهرة ١٩٩٨

– ماما... عايز أطلع السطح أطير الطيارة.

– ماشي بس خللي بالك من السور.

لم يكن الدور الخامس عاليًا ولكن بالنسبة لطفل لم يكمل الحادية عشر كان عاليًا. تنتشر أرايل التلفاز في أرجاء السطح. في منتصفه سور من الطوب الأحمر.. كان ينوي صاحب العمارة بناء دور آخر؛ ولكنه مات قبل أن يكمله. هذا السور الذي دائمًا أخاف أمي... تسلقت عليه بكل جرأة غير مبالٍ بكلمة الخوف؛ جرأة لا أملكها الآن. وبكل ما أوتيت بثقة وأمل. انتظرت بعض الهواء الذي أخذ طيارتي الورق ورفعتها لأعلى. تلك النوعية من الطيارات التي ومازلت أتيقن في صناعتها. ولكني دومًا أفضل في طيرانها.

محاولتي في الصعود على السور جنت ثمارها؛ فقد حلقت الطائرة في السماء. وكلما تركت لها الحبل تحلق أكثر وأكثر. وكلما حلقت كان يرفرف قلبي فرحًا، ويعلو صوتي معها.. غير مبالٍ بمن يسمعي،

أو ماذا سيقال عني!! كانت طائرتي أكثر شيءٍ يفرحني . وإن صادفت
أن حلقت في السماء طائرة حقيقية؛ يتملكني إحساس النشوة بأنني
أستطيع الوصول إليها بطائرتي الورقية الهزيلة.. أصرخ بعلو صوتي :
-هو صلك .. أنا أقوى منك .

كنت أقولها بثقة، بعفوية، بتحدٍ كبير.. يؤكد لي أن يوماً ستأخذني
طائرتي إلى أعلى وأحلق معها لأرى الدنيا من السماء . ظلمت أترك
الحبل أكثر كي تعلو، على أمل أن تصل إلى السماء . حاولت مراراً
أن أصل طائرتي - ذات الحبل القصير مهما طال- للطائرة المحلقة في
السماء! اشتريت الكثير من الحبال، ولضمت القديم بالجديد.. ولكن
لا هي طالت السماء ولا أنا حلقت معها! انقطع الحبل القديم الذائب،
وحلقت حينها عاليًا ولكنها تركتني!! حزنت عليها لأيام بل لأسابيع.
وعندما عاندت القدر بأنني سوف لا أصنع طائرة أخرى إلا بعد أن
أجد طائرتي ذات الخيط الذائب القصير؛ لم أحلق بطائرة مرة أخرى..
ولا استعدت تلك الفرحة ثانيةً ولم يعل صوتي....

القاهرة ١٩٩٨

- حافا - - حائز زوطح المسطح أظير الطيارة
- حائز بس فاس بالك من السور

لم يكن السور الخاص خالياً ولأن ~~بالتحديد~~ بالنسبة لفضلكم
يكمل الحادية عشر حالياً... تنتشر آريل التلغراف
في أوجاد المسطح، في منتصف سور من الطوب الأحمر
كان يسوي صاحب العمارة بنار دومي (أخرى) ولكنه عات حيل
أن يكلمه، هذا السور الذي دوماً أضاف أخص تسلفاً
عليه بكل جرادة غير حبالى بللمة الخوف (جرادة لا
أحلها الحن) و بيل حار وبيت بشقة واطل أنت ظهرت بعض
الحواد الذي أخذ طيارى الورق من فعا لأعلى، تلك
النوعية من الطيارات، أفتى وحائزنا أفتى صناعتها ولكن
دوماً أفتى فى طيارنا -

صاوتى فى الصعود على السور أجتى كما حافا فصد حلتى
الطائرة فى السماء ولما تركة لها الحبل تحلق ألترو ألترو
ولما حلتى كان يرفرف حبلى فترأها ويغلو صوتى وحفا
غير حبالى بطن يسعنى أو ماذا يقال عنى.
كانت طيارتى أكثر من يفر حنى ك و بان صاوتى
أن حلتى فى السماء طائرة حقيقة تتعلمنى :.....

إحساس بانفس أستطيع الوصول إليها بطائري الورقية
الهدية (أصرخ بخلو صوتي :
- هو صلك .. أنا أقوى منك

عذرية

لننا أقولها بشفقة وخصوصية (بتسرى يألم لي أن يوماً
ستأفذي طائري بالي ذعالي وأطلق دعوا لذري الدنيا من
السما (ظلمت لترك الجبل لكسر كس رخلو (على أني
ذن رطل والي السما حاولت صراخ وتلازماً زن أهل
بطائري ذات الجبل القصير صوما حول للظاهرة المعقدة
في السما .

أستقرت اللير من الجبال والضمات القدم ~~بالجبل~~ بالجديد
ولكن لا هي طالت السما ولا ذنا حلفت صوما (إنقطع
الجبل القدم الفلأين وصنوا ... صلقت عالية وللنا
تترتني (هنرتا خليها الأيام بل للأسابيع (وعنها غارت
القدم بانفس سوف لا أضع طائرة ذفري بال بعد أن أجد
طائري ذات الخيط الذأبي القصير ... ومنذ تلك اللحظة
لم أخلق بطائرة ذفري ولا أستعدت تلك الفرحة ثانية

ولم يخلو صوتي

وعلى ذكرى الجرأة التي كنت بها؛ حاولت جاهداً أن أعيشها يوماً
ما، فأنهيت نصف زجاجة الويسكي . واتجهت إلى إحدى الميادين
المعروفة، وقفزت في النافورة وسط زهول الجميع . لم أكن أعرف هل
بهذا أستعيد جرأتي؛ أم أنني مازلت خائفاً وأريد استعادة توازني مرةً
أخرى!!!!

فلقد أنكرت كل ما تعلمته منذ أن وُلدت وحتى الآن . وها أنا خارجٌ
من النافورة بملابس تتقاطر منها المياه . ولكن تُرى هل سيغفرون لي
عند عودتي؟ ... هل سأنجو من العقاب؟

لا يهم؛؛ فلا شيء يفوق متعة القفز في النافورة المتدفقة .

(مذكرة ٢)

القاهرة ٢٠١٢

أجلس على إحدى مقاهي وسط البلد التي أصبحت تعج بالشباب .. منذ سنوات قليلة كانت المقاهي لكبار السن والقليل منهم شباب . هذا التحول الذي أثار انتباه " كيارا " تلك الفتاة الإيطالية التي تعرفت عليها في إحدى ندوات الجامعة الأمريكية، ثم أصبحت حبيبتي الأجنبية الأولى .. التي أوضحت لي مدى ضآلتنا رغم كونها من الجانب الريفي في إيطاليا ولكنها كانت تتمتع بحسٍ فنيٍ عالٍ . هذه الفتاة أسر لبها المجتمع المصري!

كانت دائمة القول بأنه مجتمع مثل المرحاض ذي الرائحة الجميلة! كل من يوجد فيه يخال نفسه أفضل من الآخر؛ وجميعهم مثل الخراء! فقد يختلفون في اللون أو الطول أو السن أو كثرة وقلة المال؛ وفي لحظةٍ واحدةٍ يأتي أحدهم ويضغط هذا الزر الذي يجعلهم في طي النسيان . ثم يأتي بعدهم بعض الخراء الذي يملأ المرحاض من جديد .. هذا التشبيه الذي جعلنا متفقين بداخلي؛ مختلفين ظاهرياً لعدم تحمل هذا التشبيه البشع على موطني .

جاءت إلى مصر كي تكمل بحثها عن الدول النامية. أحبت العيش فيها وكانت كثيراً ما تجلس على القهاوي المنتشرة بوسط البلد، حتى أصبحت زبونة مشهورة لدى أصحاب القهاوي.. دخلتُ جميع بارات مصر بصحبتها؛ فهي صاحبة الباسبور الإيطالي وأنا المصري صاحب البلد الذي حُرِّم عليه دخول العديد من مناطق بلاده!! أثارت انتباهي بإحدى أبحاثها بأن عام ٢٠٠٩ لم يتجاوز عدد الشباب على المقاهي الـ ٢٥٪ أما الآن أصبح عددهم يتخطى الـ ٩٠٪!! هذا البحث المخيف يحمل في طياته حالة المجتمع. ليس فقط من البطالة؛ ولكن أيضاً الحالة النفسية العامة للشباب. أصبحت تتسم بالإحباط، وكثيراً من الاكتئاب.

كانت المقاهي بمثابة جلسة علاج مفتوحة. يجلسون حول الطاولة في حالة رفض تام للمعتقدات وعادات المجتمع. فقد أصبحت المقاهي أشبه بالمجتمع الأوروبي في جلساته؛ ترى مختلف الأشكال من الشباب، وتجلس الفتيات بملابس مغايرة للمجتمع حتى إنهم تعلموا تقبيل أصدقائهم من الرجال في وسط الشارع. كان قديماً هذا الشكل يقتصر على الطبقة العليا أو المشاهير. أما اليوم أصبح للثلاثة طبقات إن وجدت الوسطى. لم ينتبني الاندهاش عند شرحها لي التطورات التي تحدث. فقط أريد أن أجلس معها في تلك الغرفة المظلمة ذات

الإضاءة الزرقاء التي اخترتها بعناية، ويدها تتسلل إلى رقبتى لتتهياً
كالأسد الذي ينوي على صيد فريسته.. هذا ما أفكر فيه الآن. نعم
فأنا الشرقي الذي لم يتجاوز بعد الحيوانية بداخله. الحقيقة لم يكن
الشرقي فقط الذي يريد هذا.. جميع رجال الأرض في مختلف
الأوطان يريدون ذلك من الأنثى؛ وما على الأنثى إلا أن تنوي أولاً ثم
ترسل بعض الإشارات التي تجعل من الذكر مجرد آلة تعمل حسب
أوامر الأنثى.. كيارا تلك الساحرة الإيطالية التي دوماً تنتقد مجتمعي
المزدوج.. قالت:

« ما أن يغادر كل من على الطاولة ويتفرقوا يعودوا من جديد إلى
جذورهم؛ لتجد الرجل منهم ينطوي تخوفاً من الشارع ونظرات المارة
بشكل ملابس التي يرتديها.. »

وترتدي الفتيات الزي والوجه الآخر لتجنب عادات وتقاليد المجتمع
التي يُباح له افتراسها ما لم (تستر نفسها). تلك الجلسة العلاجية
التي يخرج كل من فيها طاقته بالضحك بصوت عالٍ على آتفه
الأسباب، ثم يتفرقون ليتوحد كلٌ منهم في دائرته الخاصة.

(الاكتئاب).

لا أعلم لماذا اختفت كيارا دون مقدمات!! كل ما أتذكره في هذه الليلة قبل اختفائها من حياتي مثل الباقيين تلك الكلمات التي نطقتها بالإيطالية بعد أن رأني أقبل إحدى صديقاتها التي تسكن معها الشقة (أنت لا تعرف طريقاً للحفاظ على الأشياء) أكانت تعتقد أنني أحببتها؟! ولكن كيف؟! وإن كانت تلبي رغبتها الجنسية مع أي أحد يقبل عليها!!! لا أعلم ولا يشغلني الآن أين هي . كل ما يجول في بالي كيف أخرج من هذه الحالة، وأنا حبيس عقلي حتى وسط القهوة المليئة بالمرضى مثلي .

في مجلس علي في أحد قصور وسط البلاد التي أصبحت
دعج بالشباب ما منذ سنوات قليلة كانت المعاصر
للبار السن وكثير منهم شباب ما هذا التحول
الذي أثار انتباه آيما تلك الفتاة الإيطالية التي
تعرفت عليها في إحدى ندوات الجامعة (الاصرية) ما
ثم أصبحت صبيحة الأجنبية الأولى التي بدورها
أوضحت لي مدى ضللتنا رغم كوننا من الجانب الرضي
في إيطاليا ما ولكننا كانت تتصع بحس فني ما
هذه الفتاة أسر لبها بالجمع المصري !
كانت دائرة القول بانه مجتمع مثل المراهق ذو المراهقة
جميلة ما كل ما يوجد فيه مثال نفسه أفضل من الذي
و جميعهم مثل الخراء ما فقد يختلفون عن اللون ذو الطول
ذو السن ذو كثرة وعلة المال ما وفي لحظة واحدة يأتي
أمرهم ويضيق هذا الأمر الذي يجعلهم في
لهم النسيان ما ثم يأتي بعدهم بعض الخراء الذي يحل
المراهق من جديد ما هذا التشبيه الذي جعلنا
حرفين بداخلنا مختلفين ظاهرياً لكنهما يحصل هذا
التشبيه البضع علي موطئ.

جاءت إلى حصر أمر قلص بصمها عن الدول الناجية
أصبحت العيش فيها وكأنه كثير ما تجلس على القولاوي
المنتشرة بوسط البلد حتى أصبحت مزبونة
مشهورة لدى أصحاب القولاوي دخلت جميع
بارات حصر بصميتها كما فوض صاحبة الجاسون
اليد إلى وانا المعسر صاحب البلد الذي صر عليه
دقوع العديد من ضائقه بلاده.

أثارت وانتباهي بأحد أجيالنا عام ٢٠٠٩ لم
تجاءوا عدد الشباب على العكس الـ ١٠٢٥
أما الآن أصبح عددهم يتخطى الـ ١٠٩٠
هذا البحث المصنف يعمل على طياته حالة المجتمع
ليس فقط من البطالة ولكن أيضا الحالة النفسية
الحاجة للشباب أصبحت تنسج بالاجساد وليس
عن الإكتئاب.

كانت المحاضر بمثابة جلسة علمية حضورية
حول الطاولة في طاعة رفضنا للمختصات وعادات
المجتمع فقد أصبحت المحاضر تضيع بالمجتمع
الذي وروى في جلساته كما ترى مختلف الذي تتلألأ
من الشباب تجلس القضايا بهاديس مغايرة

للمجتمع (حتى طائفة دخلوا تقبل زهد قائم من
 الرجال من وسط الشارع) كما قد بدأ هذا
 الشكل يقتصر على الطبقة العليا والمشاهير
 ذهاباً اليوم أصبح لثلاثة طبقات إن وجدت الوسط
 لم ينتابن الإندماش عند سهرها من التطورات التي
 تحدث ما فقط ليريد أن يجلس محو في تلك الفرقة
 العظيمة ذات الإضاءة الزرقاء التي اختارها غنابة
 ويرها تتسلل إلى رقبته لتتويأ كالأسد الذي
 ينوي على صيد فريسته (هنا ما زلت فيه الآن
 نعم ... فأنا الشرص الذي لم يتجاوز جسد الحيوانية
 بداخله) الحقيقة لم يكن الشرص فقط الذي يريد
 هنا) فجميع رجال الأرض في مختلف الدولان تريد
 ذلك من الدنيا) وما على الدنيا أن تنوي زولاً
 ثم ترصد بعض الإشارات التي تجعل من ذلك
 آلة تجعل حسب زواجر الدنيا (كما مر ...
 تلك المساعدة الإيجابية التي دوها تنتصر حصتها
 الصردوج .

فا آن يغادر كل من على الطاولة ويصرفوا كدعوتهم
من جديد والى جدرانهم لتجد الرجل منهم ينطوي خوفاً
من المشايخ ونظرات الحارة باليستابل الذي يرتديه
وترتكب الضيقات التي والوجه الأضر لتجنب عادات وتقاليد
المجتمع الذي يسبح له باعتراضها عالم (تستمر نفسوا)
ملك الجلسة العلامية التي يخرج كل ما فيها طاقته
بالضرب بصوت عالي على ذنقه الأسباب ما ثم يصرفوا
ليتصور كلاً منهم في دائرته الخاصة (اليدكتاب).

لدا علم لماذا يا فتناً كيارا دون صدقات كل ما تذكرة
في هذه الليلة قبل واختناطاً من حياتي مثل الباقين
تلك اللغات التي نطقوا باليد والية بعد أن مررتني ذليل
يا مري صديقاً بها التي تستن دعوا الشقة؛
(أنت لا تعرف طريق العظام على النساء)

ذكانت تعتقد أنني أصبحتوا ولكن كيف وهم التي تلبس
رغباتها الجنسية مع أي أمر يقبل عليها؛
لدا علم ولديستغلن الذن زين هم كل ما يحول في
بالي كيف أخرج من هذه الحالة ما واني حبيس خطي
حتى وسط القوة العلية بالمرض من خطي.

"يارا"

القاهرة ٢٠١٦

نظرات الجميع هنا تذكرنى بوخز أصابع المتحرشين، وكأن خلعي
للحجاب مرةً أخرى جعلني عاريةً تماماً في نظرهم. عملت هنا بعد
أن قررت أن أترك الطب وأعمل بالصحافة، فقد كنت أحتاج لتلك
الوجوه الجديدة لخلق مجتمع آخر أكثر تفهماً ولكني تعمقت بكل ما
أملك في هذا المجتمع حتى أصبحت نسخةً مكررةً لكل البنات هنا.

طرحة سوداء أو حمراء.. بدي كارينا كثير التعرق في الصيف أو
الشتاء.. روتين.. حياة مصرية بامتياز.....

أتذكر عند دخولي هنا أول يوم! عندما أراد المدير وهو صحفي مرموق
بأن أرثدي الحجاب كي أعطي جمالي الفاتن.... كما قال!!

وأنه سوف يضمن لي الترقية بسرعة... لم أخض معه النقاش ولا أعلم
لماذا منذ عامين وافقت على هذا السخف المبين!!

وها أنا الآن سكرتارية المدير العام لتلك الصحيفة المرموقة، بعد أن
خضت علاقات كثيرة مع مديرها الذي كان ينوي تحويلي من حرة
إلى عبدة له. يشتهي كل ما هو شاذ بيننا حتى وأن حيوانه المفضل

"الحمار" الذي طالما تقمصه وركبت على ظهره. ويصطنع أمام زملائي بأنه ينسى اسمي كثيرًا. قضيتُ العامين وروحي مسلوقة مني .

"يحيى!!... لماذا تركتني كل هذا؟ لماذا اختفيت تمامًا؟ فما أكثر الكوارث التي حلت بك يوماً وكنت الأقوى .

بعد عامين يرن هاتفي بصوته العذب يحدثني بكلمة واحدة (واحشاني) وأنه يريد رؤيتي اليوم فقد عدت إلى جذوري . الى من أكون .. اليوم سوف يأتي ليصطحبني إلى إحدى باراته أو من الممكن أن نعود مرةً أخرى للكاب دور .

– يارا....

جاءني صوت زميلة لي في العمل، وعرفت قبل أن تفتح الحديث ماذا تريد ...

–نعم..

–ليه يا يارا قلعتي الحجاب؟ كان شكلك حلو أوي بيه!! كل الزملا مستغربينك ومكسوفين ييجوا يتكلموا معاكي .

– وانتي متكسفتيش ليه؟!!

وقع سؤالي كالمياه الثلجة عليها! غريب أمرهم هؤلاء يتعجبون من رد

الفعل ولا يخطعون أبداً في فعلهم .

—علشان انتي صاحبتني وأعرف عنك كل حاجة . حتى كنتي تقوليلي
إنك هتقلعيه .

—تعرفي إيه عني؟

قطع حديثنا رسالة من المدير المبجل بأن أذهب إلى مكتبه .

لا يهم ما يقول أو ماذا سيفعل . لأنني بالفعل قدمت استقالتي
ووضعتها على مكنتي . . اليوم سوف أقابل " يحيى " مرةً أخرى . . اليوم
سوف أعود إلى حياتي ، إلى محيطي الذي أنشأته ؛ لا ما فرض عليّ أو
ما أوّمر به .

تركتها تتحدث وأرسلت للمدير :

"أيها العجوز العفن ؛ لم تغرني سلطاتك يوماً والمال الذي اكتسبته من
الرشاوي . لم يهزني جماعك بجسدك النتن ، ولا تعجبني رائحة عطرك
المبتذلة . فقد كنتُ لك وعاءاً ، وكنت لي ما كينة فلوس . . فليس من
النساء فقط العاهرات ؛ فالرجال أيضاً كذلك وأنت قوادهم اليوم
لن تلمس رحيقي مرةً أخرى ، ومن اليوم إن صادفتك في طريقي سوف
أجعل منك أضحوكة المجتمع البرجوازي التابع له ، وإياك من كيد
المقهورات " .

(مذكرة ٣)

"القاهرة ٢٠٠٠"

لم أكن أعرف أن المستقبل سوف يأتي بصديق بنفس الاسم "شريف" .. الصديق الذي افتقدته في الصغر وسيظل في قلبي إلى يوم مماتي. "شريف نشأت" الطالب ذو الثالثة عشر .. الطالب الأكثر تفوقاً في الفصل؛ بل في المدرسة جميعاً. الأول على إدارة المنطقه بأكملها .. كان يعاني من إعاقة خفيفة في رجله اليمنى . كانت أقصر بقليل من اليسرى .. يملك وجهًا ملائكيًا أشبه إلى أطفال متلازمة داون. الأول حتى في لعب الكرة. إعاقته هذه لا تمنعه أبداً من التفوق بكل شيء.

كنت من المتأخرين دراسياً في هذا العمر. وأجلس دائماً في نصف الفصل المتأخر كما قسمنا مدرسوننا سابقاً، والنصف المتفوق زرع بداخله أن نصفنا "البليد" لا يجب أن يتحدثوا معنا أو يبنوا صداقات بيننا. هذه العنصرية منذ الصغر أنشأت في النصف المتأخر كل الكره للنصف الآخر؛ ما عدا شريف .. كان يعاند المدرسين بأنه سوف يجلس في الصف الأخير في النصف المتأخر الذي كنت قائده!!

معللاً ذلك بأننا جميعاً متساوون. هذا الطفل دائماً كان يعطي

للمدرسين درسًا لا ينسونه. كان محببًا للجميع، فلا يستطيع أحدٌ منعه عما يريد لأنهم يعلمون جيدًا أن هذا الطفل الصغير ذا الأخلاق أفضلٌ منهم كثيرًا. ذهبْتُ له في ذات يومٍ وأخبرته أنني أريد أن أصبح مثله، وأن أمي تقارنه دائمًا بي. أو جميع أمهات الطلاب تقارن أطفالها بالطفل المتفوق..... رد قائلًا:

— يجب أن أهتم بمذاكرتي كثيرًا.

أخبرته إذا اهتمت بالمذاكرة لا أجد وقتًا للعب والعكس! وأن اللعب أهم بكثير من المذاكرة بالنسبة لي.....

أخبرني أنه يلعب دائمًا ويذاكر دائمًا وأعطاني سرًّا لم أستطع أن أفعل به حتى هذا اليوم؛ وهو: تنظيم الوقت!!

أخذني إلى بيته في إحدى المرات لنلعب على جهاز الفيديو جيم (الأتاري) حتى أنهكنا. مازلت أتذكر ضحكته وعينيه الجاحظتين من وجهه عندما يتغلب عليّ أيضًا في الفيديو جيم، وفرحته وهو يرقص.. انتهينا بعد فوزه وأردت الذهاب إلى البيت لأنام، فأخبرني أنه سوف يجلس ليكمل مذاكرته!

هذه القدرات الكبيرة في الجسد والعقل الصغير جعلته مميزًا عن أقرانه.....

استيقظتُ مبكرًا ذاهبًا إلى امتحانات آخر السنة في الصف الرابع الابتدائي . عندما دخلت الفصل ولم أجده وهو دائمُ الحضور مبكرًا قبل الجميع . سألت أو سأل الجميع عنه، ليخبرونا بأنه بالأسفل لا يستطيع الصعود لإجرائه عملية في رجله اليمنى كي يصبح مثل أقرانه متساوي القدمين شريف أراد الكمال، ولكن الكمال لطفل في هذا البلد لن يستطيع الوصول إليه . وصلت إرادته أن لا يتغيب على الامتحانات . وقد أدى امتحانه الأخير وهو مستلقٍ على ظهره!!

بعد ثلاثة أيام تُوفي بجرعة بنج زائدة خطأً من الدكتور المعالج . ماتت الإرادة والقوة التي عرفتُها يومًا . ويعلم الله أنني لم أتأثر بموت أحدٍ في حياتي مثل شريف .

لم لأن أعلم أن المستعمل سوف يأتي بصديق
بنفس الاسم "شريف" الصديق الذي
بافتقاره في الصغر ويظل في جيب إلى يوم محاسن
"شريف نشأت" الطالب ذو الثالثة عشر
الطالب الأكثر تفوقاً في الفصل بل في المدرسة
جمعاً ، الأول على إدارة المنطقة بأهلها
كان يعاني من إعاقة ضئيلة في رجليه البيض
كانت ذوقه تليق من اليسرى ، يملك وجه طلائع
أسببه إلى حلازمة داوود ، الأول حتى في لعب
الكرة ، بإعاقته هذه لا تفنعه أبداً من التفوق
في كل شيء .

كنتا من المتأخرين دراسياً في هذا العصر ، ما تجلس
وأنت في نصف الفصل المتأخر كما قسمنا حرسنا
سابقاً ، والنصف المتفوق نهرج بداخله من
فصفا (البليد) لا يجب أن يتصرفوا معنا ذو
ينوا صداقات بيننا ، هذه الخنصرية عند الصغر
أنشأت في النصف المتأخر كل الكرة للنصف الأخر
حاشا شريف ... كان يعاني المدرسين بأنه سوف
يجلس في الصف الأخير في النصف المتأخر الذي
كنتا حاشه !
على ذلك بإشياء جمعاً متساوون ، هذا الفصل

دائماً كان يعطى المدرسين درهماً كدِيسود
كان حبيب للجميع فلا يستطيع ذو حد منه عما يريد
لا نعم يعلمون جيداً أن هذا الطفل الصغير
ذو الخلاق في فضل منكم كثيراً ذصبت له في
يا هدى الأيماً فأضربته، انى أريد أن ذصبع حمله
وكان ذص تقارننر دالها به ذو صمغ ذصوات الطلاب
تقارن ذو طفالها بالطفل المتفوق... رد خانلاً
- ~~بصحة~~ واصتم بهذا الأمر كل

أضربته وإذا اذصصت بالهذلمرة للأجر وقت للعب
والعسى وان اللعب ذصم بلسن من الهذلمرة
بالنسبة لى ...

أضربنى ذنه يلعب دائماً ويزال دائماً ثم أعطانى
سرم لم ذصطفخ ذن ذفعل به حتى يوحنا هذا
وهو تنظيم الوقت

أضربنى رالى بيته فى اهدى الحرات لنقلب على
جوانى الضيدو جيم (الانبارى) حتى أنواتنا
حازلت ذو تترك ضعتته وعيناها الجاهضتان من
وجوه عندنا يتقلب على ذرضاً فى الضيدو جيم
وخرفته وهو يرقصنا وانسونا بذر فونز
وأردت والذهاب الى البيت لذلماً ما فأضربنى ذنه سوف
يجلس ليقل هذا أمرته .

هذه القدرات الميسرة في الجسم والقل الصغير
بخلته حين عن ذكراته ...
و استيقظت مبتدأ ذاهباً الى الاحتانات ذكر السنة
في الصف الرابع الابتدائي) وعندما دخلت الفصل
لم أجد له وهو دائم الحضور مبتدأ قبل الجميع
لم أجد له ما سألت و سأل الجميع منه ليخبرنا
بأنه بالأسفل لا يستطيع الصعود لإجراءه عملية
في رجليه اليمنى التي يصبح مثل ذكراته حساوي القدرين
شريف ... أتراد اللعاب) و لكن اللعاب لطفل من هنا
البلد لن يستطيع الوصول إليه) وصلت إرادته
أن لا يتغيب عن الاحتانات واحسن وهو مستقل
على ظهره!?

بعد ثلاثة أيام توفى بجمرة بنج نرائده من الدكتور
المعالج .

حانت الإدراة والقوة التي عرفتها يوماً) و يعلم الله
باني لم أتألم بصوت أجد في حياتي مثل شريف .

(مذكرة ٤)

القاهرة ٢٠١٣

تركتُ سيارتي وارتجلت حتى موقف رمسيس لألتقي بـ "حرز" إلى أن وصلت إلى الموقف. لم أجد سوى الميكروباصات تحمل ركابها في سلام دون زعيق أو خناق. اتجهت إلى أحد السائقين سائلاً عن "حرز".

مجرد أن لفظت اسمه تغير وجه السائق:

—غار في داهية.

هذا الفتى الذي التقيت به في إحدى مواقف الطريق عندما أدخل رأسه من شبك سيارتي سائلاً إن كنتُ سأتأخر أم لا!! وعندما أخبرته بأنني سوف لا أتأخر قال لي:

—طب في عشرين جنيه أرضية.

قالها وتركني صارخاً:

—امسك ديك أهله.

جرى سريعاً نحو إحدى الميكروباصات وهشم له الزجاج الأمامي، ثم

هرع السائق تاركًا الركاب حتى أنه أسقط امرأة من باب الميكروباص ..
قفلت باب سيارتي واتجهت نحوها مسرعًا كي أساعدها أو قفني
" حرز " ممسكًا يدي بقوة قائلاً :

— اخلص هات العشين جنيه وساعدها ..

نهزته وأبعدت يده .. نظرت لي دون كلمة واحدة . وذهب تجاه سيارتي
وفي يده عصا واستعد أن يهشم المرأة الجانبية ، فأسرعت إليه خانقًا
رقيبته ثم تركته مسرعًا خوفًا من رد فعله قائلاً :

— اصبر هدفعلك بس أنا هبلغ عنك .

ابتسم بثقة :

— اخلص بس . . . ادفع وبعدها روح بلغ .. أو خالص مشوارك ونروح
سوا نبلغ عليها .

لم أجد سوى أن أعطيه العشرين جنيهاً تجنباً أشكاله الضالة خوفًا على
السيارة . ثم إنني تأخرت على كيارا! ما أن أتركها متأخرًا إلا أن تتحول
وتنسب تأخري إلى عادات المجتمع الذي نشأت فيه . فهو مجتمع لا
يتحمل المسئولية .. هذه الغيبة كيف وصلت لهذا المنتج الذي يريد أن
يراني اليوم .

ولكنني أملك الحججة التي سأخفي وراءها تأخري الحقيقي . سوف أحكي عن هذا البلطجي وكيف أصررت بأن لا أدفع! نعم... يجب أن لا أظهر أمامها بالمستسلم؛ خصيصاً وهي متمسكة برأيها في الآونة الأخيرة بأنني أصبحت خائفاً من كل شيء..... حتى النجاح!!..

كيف تعرف ما بداخلي؟! ولكن اليوم سوف أهول لها الأحداث، وأوضح كيف أوسعته ضرباً حتى بعد أن جاءت الشرطة. ظلت تبعد بيني وبينه حتى لا أجعل منه جثةً هامدة. وأنها لم تفعل بي شيئاً لأنني ذو سلطة..... أين هي السلطة؟!؟!

هذا الإحساس الذي بات يملكني بعد الثورة... مخيف!! لا أحد اليوم يستطيع تجنب شرور السلطة!

القاهرة ٢٠١٣

تركنا سييارتي وانما جللت حتى موقف رمسيس للأقصى
بـ " هرز " إلى زن وصلت إلى الموقف لم أجد سوى
الميكرو وباصات تحمل ركابها من سلك دون زعيق ذو
ضخات كالتجوية إلى ظهر السائقين سائلاً عن " هرز "
مجرد أن نظفت رأسه تغير وجه السائق ؛
- غار في داهيه

هذا الغنى الذي والتقى به في إحدى مواقف الطريق
عندما أزد خلف رأسه من شبك سيارتي سائلاً إن كنت
سائلاً فإرأم لك وعندها نظرت به بانني لا أتناصر
كأن من ؛

- أحب في عشرين جنيه أرمضية
قالها وتركتني صانحاً ؛
- واسك دين أهله

جرت سردياً ففردت الميكرو وباصات وهشم له الزجاج
الأحمر ثم صرخ السائق تماماً الركاب حتى دانه
استقلوا عبرت من باب الميكرو وباص ما قفلت باب
سيارتي وداتجوية فحوها صرعاً كسي رأساً على
أوقفني " هرز " مستلاً يدي بقوة خائلاً ؛
- وأخلص هات العيشين جنيه وسألكا .

نورته وابتعدت يده (نظري دون كلمة واحدة)
وذهب تجاه سيارتي وفضيده خصا واستعد ان
يخشم المراكه الجانبيه فاسترحت اليه فانقأ رجبته
ثم ترققه حسراً خوفاً من رد فعله قائلاً :
- احبس لهد ففلك بس ثنا هبلغ خلك

البتيم بلقة :

- واخض بس... وادفخ وبعدها روج بلغ ما ذو فلك
حسوارك ونروج سوا ببلغ خليا .

لم ظهر سوى ذن رجليه الخشرون جنباً جنباً أشكاله
الضالة خوفاً على السيارة (ثم بانس تأخرت على كيارا)
حاذن ذرأها حثأهراً الى ذن تنسب تأخرى بالى طارات
المجتمع الذى نشأت فيه (فوق جميعه لا تحصل المسئولية
هذه الخبيثة كيف وصلت لهذا المنقع الذى يريد ان يروى
اليوم .

ولكن ذلك الحجة التى سئضه ورادها تأخرى المحيصر
سوف ذكر عن هذا البلاطه وكيف أضررت بان لا ذدفع
ذم ... يجب ان لا تظهر أحاسها بالمستسلم ما
فهي صاعده وهر حمله يربها فى الكوفة الأضيرة
بانس أضررت قائفاً من كل شئ من حتى النجاة .
كيف تعرف ما بداخله ؟ (ولأن اليوم سوف أعود
لها الأضرة) ووضوح كيف أوسعه ضراً حتى

بغير ذن جادت المشرفة (ظلت تبعد بيني وبينه حتى
لا أجهل منه جهة هادة) وانها لم تفعل لي شي
لا تني ذو سلطة ... أين هي السلطة ؟
هذا الأساس الذي بات يتطلن بعد الثورة ...
مخيف .

لا أصر اليوم يستطيع تجنب تسرور عائلة التسرور .

تجلس كيارا مع المنتج. يضع يده على كتفيها. هكذا ظهرت الرؤية أكثر، وبدون أن أجد ردًا على سؤاله كيف وصلت إليه! الأرجح هذه الجامحة بدون لجام تعرفت عليه في إحدى سهراتها أو أبحاثها. أغرته أو أغراها بماله.....

قطع أفكاره صوتها وهي تلفظ اسمي تاركةً المنتج متجهةً إلى "يحيى". أخذتني بين ذراعيها وقد استشفت ما يدور بعقلي، هامسةً في أذني:

—متحرش زي المصريين؛ بس ناخذ اللي عايزينه منه.

ابتسمتُ لها وعرفت أنه لا يعجبها.. ارتاح قلبي ثم ذهبتُ لإلقاء التحية عليه. تبادلنا الكثير عن الفن، وعن رؤيتي وكيف يجب أن يحيا الفن مرةً أخرى بقوله للحق وألا يخشي الرقابة ونقل صورة المجتمع. وأن الفن ما هو إلا مرآة للمجتمع..... وهنا تغير مجرى الحوار حتى إنه قال لي:

—بص؛ لو عايز نشتغل مع بعض ابعده عن الكلام الكبير ده، وركز شوية في صافيناز أو شوفلنا حته حلوة نطلع بيها جديد في السوق.. ولو معكش الورق متشلش هم. الورق مرمي في درج مكتبي.

قبل أن أنطق بالرد الذي تعرفه كيارا جيدًا؛ قالت منقذةً الموقف:

—نكمل كلامنا بعدين.. علشان عايزة أنام.

قالتها وتبادلنا أرقام هواتفنا على أن أزوره في مكتبه .. أخذها بالحضن
وسلم عليّ ثم استطرد قائلاً:

-ابقي تعالي معاه بقى هستناكي .

استفزني هذا المنتج الهائج على شهواته . ابتسمت كيارا وأخذت
يدي مسرعةً باتجاه السيارة تجنباً للمشادة بيني وبينه لأبيت في شقتها
اليوم .. ما إن وصلنا إلى السيارة؛ رأيت " حرز " بجانبي .. من الجيد
أن فاتني هذا الحديث عنه مع كيارا, كنت سأصبح أضحوكتها هذا
المساء .. ظهر فجأة قائلاً لي :

-أنا مستنيك تبلغ عني ..

ابتسمت له

-لا خلاص الله الغني .

-متأخذنيش يا باشا .. مكنتش لسة اصطبحت ومزاجي كان زي الخرا!

-خلاص ... خلاص حصل خير .

اسكت أيها الغبي! بجانبي ينبوع الفضول . سوف تسأل حتى تعرف
كل التفاصيل التي أردت أن أخبئها بسببك . سوف أحكي الحقيقة
وليس ما أردتُ أن أرى نفسي فيه .

-مش زعلان؟

قالها وهو يدس يده في جيبه مخرجاً عشرين جنيهاً ومدّها لي .

—إيه ده؟

—خدها يا باشا علشان تعرف إني مكنتش مركز والله .. وعاييز أقولك
إن اللي إنت عاييز تروح تبلغ عندهم هما اللي بيقاسموني في رزقي ،
علشان كدة عليت الركنة على الزيتون .

قالها ... ولمعت عينا كيارا . وقبل أن تفتح معه الحوار قلت له :

—خلاص حلال عليك بس خليك فاكر العربية علشان باجي كثير .
تركته بعد أن مسح السيارة وجعلها كالجديدة . وبدأت الأسئلة
كالسيل طول الطريق حتى وإننا عرايا تسأل !!
حتى غضبت :

—إيه ... في إيه؟! ... الموضوع شاغلك ليه؟! ... عيل عربي
مسرحينه مالك انتي؟! ماتركزي .

امتصت غضبي ناهيةً الحديث :

—عايزة أقعد معاه .. هيفيدني أوي في البحث . بعدين قولني هو في
غيرة بين الصحاب؟

—ومين قالك إني بغير عليك؟

—عينيك وسلامك، ولا أسلوبك اللي اتغير لما سلم عليا، ولما حضني .

—وليه شفيتها غيرة عليكى؟

—أمال على ايه؟

—على أنانيتي . . .

—نعم؟!!

—أيوة أنانيتي مش سمحالي تكوني قاعدة معايا، وغيري يحضنك أو

حتى يسلم! أو جايز ذكورتى المتعفنة ودي آثاها عليا!! أو يمكن أي

شيء تاني غير إنى أغير عليكى .

—وهو الواحد امتى المفروض يغير؟

—لما يحب . . .

—وأنا بغير عليك .

—وأنا بغير على نفسى .

ثم غبت عن الوعي . . فمارست كل أنواع السحر كى تغرقني بين جبال

نهديها ووديان فرجها .

"يارا"

لماذا تأخر؟... فقد أصبحت الثامنة مساءً!! هذا الوغد المحبب إلى قلبي
تأخر كما تأخر عني عامين.

منذ أن تركت المكتب واستقلت أنتظرك في قهوتنا المعتادة أكثر من
خمس ساعات... سأنتظر حتى يأتي.. فقد أكد لي أنه سيأتي
ولكنه قال سنتقابل عند التاسعة.

لم يتأخر... لم يتأخر فأنا المبكرة المتلهفة للقاءه.

أحرق الكثير من السجائر.. دائماً يقول بأنني سوف أموت يوماً احترقاً
من السجائر. أعدك عند لقائك سوف أتوقف عن تلك العادة بل
العادات السيئة جميعاً. سوف أعود كما عدت مرةً أخرى "يحيي" ...
كيف لي أن أحيا بكل هذا المنطق في غيابك!! كم قتلنا بالمنطق روحاً
كطفل يضحك للمارة دون أن ينتظر إقناع الكبير بأن كثرة الضحك
تميت القلب!

معك لم يكن للمنطق وجود.. لماذا غبت بالمنطق؟ ولماذا بالمنطق تركتنا
جميعاً؟!

معك كل العذر في غيابك حتى أن تبرره . ألم تدر كيف كانت
أمك؟! إخوتك! أحبابك الكثير؟!!

من أين أتى لك اليقين بأنك بمفردك لا أحد بجانبك؟ كيف تداركت
خطورة الوطن فغبت بالمنطق؟

هذا العبث الواقعي هتك عرض الخيال .

(مذكرة ٥)

"القاهرة ٢٠١٦"

يبدو على الورقة حديثةً ليست كمثيلتها من الورق الذي كتب عليه
المذكرات :

لم تعد لدي الرغبة في التعامل مع الناس وأصبحت بقصد أو بدون
أخسر من حولي ! أصبحت عدوانياً بداخلي ؛ ولكن بالخارج أحاول
جاهداً أن أكون ودوداً . . أحاول جاهداً أن أخلق دائرة معارف جيدة
وأفشل !! أحافظ على الدائرة الصغيرة التي اقتصرت عليها ولم أفلح ،
فقد تحملوني كثيراً!

وأخيراً بدأتُ في استقطاب الذكريات . . دونتها دون أن أدري لماذا!!
فمن الجائز أنني أبحث في الماضي عن السبب الذي جعلني الآن
هكذا؛ وحيداً شاردًا . لم يعد لدي الرغبة في العيش ولا شيء يبهرني
ولا أي شيء!!!

هل كثرة القراءة جعلتني لا أستطيع التعايش مع دائرتي؟!
إنه الاكتئاب . . . لم أبالي . . . رفضت جميع الأدوية التي قدمت لي

وأصررت على أن أتعافى وأجاهد مرةً أخرى... لم أنجح واستسلمت .

حاولتُ مرارًا تذكر نقطة التحول التي جعلت مني هذا الشخص المكتئب الكئيب!! تذكرت نشأتني في الطفولة والصراع الذي دار بيني وبين أبي كي أحقق حلم طفولتي؛ وهو أن أصبح ممثلًا أو مخرجًا سينمائيًا. هذا الصراع الذي دام حتى الآن .

كنتُ دائماً الظهور حتى أصبحت تدريجيًا نجمًا، ولكن مطفأ!! قيل لي ذات مرة أن هذا بسبب بعدي عن الصلاة والله . بعد أن كنتُ مصليًا كما كان يدعوني أبي ويتباهى وسط أصدقائه . وهنا قررت التقرب مرةً أخرى بوعي ناضج وليس كطفل كان يفعل ما يؤمر به؛ وابتدأت رحلتي من الشك إلى الشك المستنير!!

ذهبت إلى أحد المعاهد الأزهرية لدراسة الفقه . هذا المكان المظلم استقبلني فيه أحد العاملين ويبدو على مظهره تعاليم المكان؛ ذقنٌ طويلٌ بدون شارب، جلبابٌ قصيرٌ بداخله بنطلون أقصر، شبشب جلد يبدو عليه الذوبان من كثرة الوضوء والماء .

–السلام عليكم..

–وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

–كنت عايز أقدم عندكم وخصوصًا الفقه ايه المطلوب؟

-بابتسامة صفراء: إنك تكون صالح .

-إن شاء الله .. قصدي على المصاريف والورق أنا مخلص إعلام .

-ياحول الله!!

-نعم!!!

-لا ولا حاجة ربنا يهدينا ويهديك!! المصاريف ٢٥٠٠ بالكتب،

والدراسة ٣ أيام في الأسبوع وأرجو منك أنك تيجي بعد كدة

بالجلباب كسنة حبيبك المصطفى .

-طب بص لو ده شيء لا بد منه أنا بعذر إن أنا جيت .

تغير صوته من شخص ودود مصطنع إلى الشخصية التي أحسستها من

البداية!

-آآآاه... شيء لا بد منه؛ أول تعاليم الإسلام اتباع السنة .

-مع السلامة .

-اسمها السلام عليكم!!

تركته وأيقنت أن مثل هذه الأماكن لم ولن تكون وجهتي للتعرف

على الله مرةً أخرى .. ذهبتُ إلى بلاد كثيرة كي أبحث عن ماهية الله،

فوجدت أن جميع الأديان تدعو إليه؛ كلاً بطريقته . . فالهندوسية بالتأمل وتقديس تلك الإلهة المجسدة لله . . والبوذية بالتعاليم التي توارثوها . . والمسيحية من الابن والروح القدس . . والإسلام كما هو عليه؛ لا أحد يعبد الأصنام في عالمنا . مثلهم جميعاً مثل الكعبة نقدها ونقبلها ونقطع آلاف الأميال لتبارك بها . . لم يكن الغرض عبادتها ولكنها وسيلة للتقرب إلى الله . هذا المفهوم الخاطئ والنظرة العامة على مختلف الأديان التي توارثناها رسخت بداخلنا الأفضلية والعنصرية!! فيعتبر الهندوس الإسلام ما هو إلا ديانة تابعة له فيصلون بانتظام ولكل وقت ترنيم أو موسيقى شبيهة للصلاة . . تيقنت أن الله يقبع في قلوبنا، لا يحتاج إلى وسيط أو ملة نتبعها .

خرجت لصديقي الذي ترك كل شيءٍ وتفرغ إلى العبادة وطريق الجهاد كما يدعي، وهو أيضاً الذي وجهني إلى هذا المعهد . كان " بكر " ضاحكاً محبباً للحياة . . تحول فجأة إلى شخص عابس دائماً . لا يتواجد في الأماكن المختلطة . دائماً ما يتحدث عن الجهاد ونشر الرسالة . وعندما ذهبت معه مرة أخرى إلى أحد شيوخه الذي بدوره أوضح لي أهمية السفر للخارج ولكن ليس من أجل العمل ولكن من أجل نشر الدعوة . وعرفت أن الكثير من الشباب يغسل لهم أدمغتهم تحت راية الجهاد ونشر الدعوة . حتى يصبحوا تلقائياً عنفوانين في رد

فعلهم، متصنعين الضحك دائماً حتى تختلف عنهم . وأتذكر عندما رفع حواجبه مستغرباً راسماً خطوطاً عريضة على جبهته، بؤبؤ عينه توسع قليلاً ليدخل كمية أكبر من الضوء . فتحات أنفه تتوسع بشكل ملحوظ لإدخال كميات أكبر من الأوكسجين . نبضات قلبه ارتفعت ومسام جلده اقشعرت .

ثم سأل وعلامات الانزعاج في صوته :

—انت عايز تقولي اننا اتطورنا من القروء؟!—

—لا يا صديقي . . . نحن لم نتطور من القروء والعياذ بالله؛ بس احنا نوع من أنواع القردة .

(Apes)

القروء لما تنفعل تتوسع أيضاً فتحات أنوفهم لإدخال الأوكسجين أكثر، وبؤبؤ أعينهم يتسع لإدخال كمية ضوء أكبر . ونبضات قلبهم تتسارع وتتباطئ . وأيضاً يحركون حواجبهم كجزء من لغة تواصلهم الجسدية .
القشعريرة تجعل وبرهم ينفش؛ لكن نحن تخلصنا من وبرنا فنقول (جسمنا قشعر) .

—لا تخف من العلوم يا صديقي . . صحيح إنها تذكرنا بطبيعتنا الحيوانية لكن معرفة حقائق الأمور حتى وإن كانت قاسية يبقى أفضل

من العيش بوهم أننا كائنات لا حيوانية.. ماذا تعتقد؟!

نحن حيوانات من عائلة الثدييات من نوع القروذ العليا.

هذه الفترة لم أرد التحدث عنها كثيراً؛ فالجميع سيكفروني لمجرد السؤال.. فقد وُلدنا في بلاد تحرم الأسئلة وتجرمها. لا أريد أن أترك من المذكرات ما يؤخذ بمفهومه الخاطئ في نطاق الوعي الجمعي، فأنا أحاول جاهداً ترك مذكرات ودودة. فتكفيني الوحدة في حياتي ولا أريدها بعد مماتي.

(مذكرة ٦)

"القاهرة ٢٠٠٧"

يفاجئني القدر أن أتعرف مرةً أخرى بـ " شريف " ولكن في هيئة مختلفة بروح مختلفة، في زمان ومكان آخر (الجامعة) مثله في التفوق والسابقة. أصبحنا أصدقاء منذ لقائنا أول مرة. أنا بطريقتي المعتاد عليها.... متأخر دراسياً، محبوب اجتماعياً لكثرة الضحك والمعارف. وهو بتفوقه وأخلاقه التي تعلمت منها الكثير. شريف الفتى الموهوس بفن الإعلان أصبح بعد تخرجه مدمناً بعد قتل أخيه بإحدى مظاهرات الثورة.

أنشأ حملة قوية لإسقاط الحكم بعد قتل أخيه. استخدم فيها كل فنونه للوصول إلى الناس. أكاد أجزم أنه أحد أعمدة إسقاط النظام بكمية الإعلانات المنظمة التي أصدرها..... حتى غاب فجأة!!!!!!
وأصبح منطوياً عندما عادت الأمور كما هي قبل الثورة؛ لا شيئاً تغير بل ساء! كنا نحلم منذ الجامعة أن نفتح شركتنا الخاصة، وأن يأخذني من حياتي المهرجلة لأنتظم وأرى مستقبلي بوضوح.

أين أنت الآن يا صديقي؟؟!! انطويت عاكفاً على المخدرات وتركتني
أبحث عنك في وجوه المارة.

ما أكثر الذين يشبهونك؛ ولا تشبه أحدا!!

يُفا جئنا القدر أن نتعرف مرة أخرى بـ "شريف"
وذلك في صيغة مختلفة بروح مختلفة في زمن و مكان
٦ فبراير (الجامعة) حمله في التفوق والسياسة
أصبحنا أصدقاء منذ لقاءنا الأول (أنا بطريقتي
المعتاد عليهما... حاضرا دراسياً) محبوب اجتماعياً
للثقة الضمك والمطرف -

وهو بتفوقه وأخلاقه التي تعلمت منها الكثير
شريف الفتى الموهوب يفتن الإكاد أن أصبح بعد
تخرجه وقتاً بعد عقل أوفوه بإحدى وظائف
الثورة -

أنشأ حملة قوية لإسقاط الحكم بعد عقل أوفوه
استخدم فيها كل خونه للوصول إلى الناس
أكد أن أوزم وأنه أعمدة إسقاط النظام
بأية الإخانات المنظمة التي أوسرها... حين غاب
وأصبح منطوي عند عادت الأمور كما هر قبل
الثورة (لا تسر تغيير بل ساء) كنا نعلم منذ
الجامعة أن نفتح شرفتنا الخاصة (وإن يأخذني
من حياتي المورثة لا أنتظم وأرى مستقبلتي بوضوح
أين أنت الآن يا صديق... ~~والله~~ والطوبى على
المخدرات وتربنتي (أحت غلك في وجه المارة)
حآلكم الذين يسبوا لك ~~والله~~
ولا تشبهه أومر

(مذكرة ٧)

"لا يوجد بها تاريخ أو مكان"

أشتاق للغرفة المحتضنة دفء عائلتي .. كنت أتأمل حتى الغوص في دخان سيجارة أبي . كم جميلة أشكال الدخان .. وما أبشع تلاشيها في سكون بلا صراخ!! ثم تأخذني يد جدتي التي خرجت من بئر الزمن بعد عراك، وما أن تروي لي حدودتها الهزيلة والتي تنتهي كما أطلب أنا؛ ثم أخطو نحو الكرة . وما أكاد أن ألمسها حتى تفرمني هرباً . فأخذ أجري ... أجري ... حتى تجدني جدتي وكأنني أعود لجذوري الأولى ، فأنا لستُ إلا قطرةً حملها الهواء خارج فلكها!!

يعتصر قلبي من الفراق الناتج عن الغربة . فأنا أصبحت غيري!! منذ أن كذبت على نفسي وأصبحت أدعي النجاح والضحك في غربتي اكتأبت حتى تكابرت على اكتئابي؛ فلم يسعه إلا أن يغمرني . لم أستطع الضحك منذ فترة! أسمع أغنية عن حب أفتقده . وعندما أبحث بداخلي أراها خالية! لم أحب يوماً امرأة؛ و لكن أحببني كل النساء اللاتي عاشرتهن . وجميعهن أردن أن أصبح ملكهم . ما أبشع المرأة في الامتلاك!!

الآن أكتب . . . فقط أكتب . . لا أريد أن أحدد الزمان ولا المكان، فكل ما بداخلي يأمرني بالبكاء أو الكتابة . . آه!! لماذا كل هذه العواصف بداخلي؟! لماذا يتخللني إحساسٌ بأن الحياة يجب أن تتوقف الآن؟! فقط سوف أكتب دون ترتيب سطوري الأخيرة، على أمل أن يقرأها أحدٌ بعدي .

أصبحت منذ شهر تقريباً مدمناً على السجائر. كنت دائماً أنتقد أصدقائي المدخنين. عندما أحسست الوحدة مع السيجارة اكتشفت أنها الصديق المدمر. ازدادت شراھتي بالسجائر وأعجبت بصورتي وأنا أدخن والدموع تتساقط مني. وصورة أخرى وأنا أدخن وباليد الأخرى أحمل كأس الويسكي. صورتان تحملان التضاد؛ ولكنني أحببتهم لي!! والحقيقة عندما فقدت خطاي كل الصور لم تفرق كثيراً . . أصبحت باهت اللون والروح ولم يعد لي الرغبة في الحياة.

– عارفة:

كان دائماً يأمرني أبي بأن أمثل هذا المقطع التمثيلي لإحدى الأفلام الأجنبية أمام أصدقائه أو أقاربنا. كنت أؤديه بمتعة كبيرة حتي إنني منذ الصغر أحببت الشهرة والتصفيق . . وظللت محتفظاً بهذا إلى أن بلغت سن الرشد. كنت أفعل كل ما يريده من حولي حتى أحظى باهتمامهم. أضحك كثيراً لأنهم يحبون الضاحك . . أذاكر كثيراً

لأنهم يتباهون بالناجح .. أمشي في طريقهم لأنهم يحترمون المطيع ..
وعندما نضجت كفاية اكتشفت أن اسمي لم يكن باختيارى ولا
شكلي .. لوني .. ديني .. ولا حتى أصدقائي الذين كان يتم اختيارهم
حسب رغبة أهلي أو المدرسين الأدرى بنفسنا نحن الصغار، فيفرون
بيننا حسب رؤيتهم .. وهنا تبدل الناس والمكان حتى أصبحت
تدريجياً أفقد الجميع .. عندما ذهبت في طريقي واخترت ما تبقى
مني

—شكلك شربت كثير النهاردة .. أنا مش فاهمة الكلام الكبير ده!!

نطقت "أولجا" فتاة مفقرة المفاتن تعرفت عليها خلال ترحالي لبلاد
آسيا. تعمل كنادلة في أحد المطاعم في الشارع .. لا تعرف القراءة ولا
الكتابة ولكنها تعرف العربية!! كانت تعمل لدى أحد المشايخ في
الكويت، الذي ظل قرابة الخمسة أعوام يغتصبها تارةً وأخرى تعطيه ما
يريد برضاها تجنباً للضرب .. حتى سمح لها بالنزول مرة أخرى لبلادها
ولم تعد مرةً ثانيةً للعمل لديه .

تجلس عاريةً بجانبى . وبيدي ورقة وقلم سارح بداخل رأسي التي
أصبحتُ حبيسها .. أتخسس خصلات شعرها، وأشفت عليها من
جهلها وحاولت جاهداً تبسيط ما بداخلي :

—طب عارفة الشاب اللي بينزل بدري ويلبس البدلة ينزل شغلته، وأمه صاحية من النجمة فرحانة بابنها اللي لقي وظيفة كويسه اكمنه لبس بدلة؟

متعرفش أو تعرف إنه هيركب مواصلات وتتهان آدميته ومن بيته لبيته لما يرجع هيرسم عليها ضحكتة، وهيرسم لنفسه طريق مختلف جوة بدلته .. هيرسم حلم ما طلهاوش وأمل بعيد وضهر يحميه .. ويعمل نفسه عال بمقولة ارضى بأي حال .. محدش فكر ف يوم يبص في عينه ويقوله رغم ضحكتك اللي نص ضحكة إنت انسان مش نص انسان .

لم تنطق بكلمة واحدة وأمسكت بغلامي رافعةً إياه لأعلى، حتى جعلته يخرج ما بداخله .. هنا فقط استسلمت لرأسي بأن تهدأ وتعمقت في النوم....

(مذكرة ٨)

"القاهرة ٢٠١٣"

لم أجد "حرز" في الموقف وقد عرفت أنه الآن في الحجز بسبب ضربه لأحد الزبائن في الموقف العام الذي استحوذ عليه .. لم أشأ زيارته، ولكنني سوف أخبر كيارا عما حدث. فمئذ أن أخبرتها عنه جندتني كي أخبرها قصته.....

تلك القصة المثيرة للجدل .. عندما أعطيته سيجارة حشيش وأصبح عبداً لي بها.. حكى لي كيف نشأ في بيت به أختان. واحدة أكبر منه والأخرى أصغر.. وكيف كانت أمه تأتي بالرجال كي يختاروا بين الكبيرة أو الصغيرة كي يمارسوا الجنس في حجرته .. كانت تنهره أمه بأن يخرج من البيت كي يستمتع الزبون على حد قوله. هذه النشأة التي جعلته مدمناً على جميع أنواع المخدرات. ورؤيته إلى جميع نساء الأرض بأنهن عاهرات .. يحمل معه نظرية شعبية:

— كل النسوان تجيبها الفلوس، وساعتها تعمل اللي عايزه.

من هذا المنطلق أصبح مختلساً، إلى أن اكتشفه أحد الأمناء وجنده

لحسابه كي يحمي هذه القطعة من الشارع، وحولها بمجهوده وذراعه إلى جراج .. يأخذ الإتاوة من سائقي الميكروباصات كي يحملوا الركاب . وثماناً لركنة السيارات الملاكي .

عرض عليّ ذات مرة إن نويت أن أجرب النوع البلدي من النساء أن أخبره .. وأنني سوف لا أندم؛ فالبلدي أفضل من الأجنبي، مما جعلني أوبخه كيف له أن يعمل قواداً لأخواته!! فالمخدرات التي يتعاطاها جعلته لا يبالي بوجع سواء جسدي أو نفسي!

تذكرت لقد وصف لي منزله في إحدى المرات ... ذهبت لهذا الحي الشعبي وسألت عن بيت " حرز " .. دلّني إحدى السيدات التي تجلس أمام بيتها بان أذهب لآخر الحارة وأسأل عن " أم رشا " ذهبت وسألت فخرجت لي من بلكونة الدور الأول امرأة بعباءة سوداء ملوحةً لي بيديها بأن أدخل من باب العمارة

مدخل العماره قديم ذو درجات مكسورة .. وصلت للدور الأول ثم فُتح الباب قبل أن أطرقه .. دخلت وقبل أن أنطق بكلمة رأيت فتاة نحيفة ذات جسد متناسق .. لم أر مثل هذه العين الزرقاء من قبل، وجسداً مخمل اللون ترتدي روباً فقط

جاء صوت أنثوي

أجش :

—بتحب البدري انت ياباشا ..

هذه الأم المهترلة مثل أفلام الثمانينات مازال منها نسخة هنا .. أمامي!

هذه العباءة ورابطة الرأس تذكري بأفلام نادية الجندي ... لم أرد عليها ثم استطردت قائلة:

—أقفلني الباب يابت قبل ما تقلعي ..

قفلت الفتاة الباب وخلعت الروب عنها دون مشاعر، إلى أن أصبحت عاريةً تمامًا ... هذا الجسد كيف له أن يُنتهك!! كيف تملكين هذا الجمال السماوي وتهبينه للكل!! تلك المنحنيات الرشيقة

—لو مش عجبك استنى أندهلك على رشا.

قالتها قاطعةً نظري عن الجمال الذي لم أر مثيلاً له .. حتما رشا الأكبر .. أتت رشا عاريةً تمامًا. أواخر العشرين، شبيهة لأمها حتى في أسلوبها وحجمها السمين .. خرجت من الحجرة قائلة:

—عنيا ياما ..

—أنا بسأل عن " حرز " ..

تغيرت تعابير وجههم جميعاً .. ارتدت الصغيرة الروب وتركتنا إلى الحجرة .. أما رشا نطقت باستياء:

-انت عايز تصطبج ولا تتبسط؟!

ثم ذهبت هي الأخرى إلى الحجرة .. لم يعطوا لي الفرصة للحديث!
قالت الأم:

-روح هتلاقيه في أي خرابة بيشم أو بيحشش .. ومتجيش هنا تاني .
مبقاش إلا الشاممين اللي يدخلوا البيت .

ثم فتحت باب الشقة ودون كلمة مني ذهبت ..

تلك الأم العاهرة لا تدخل الشاممين بيتها ولكنها تدخل الرجال الذين
يستبيحون بناتها!

ارتجف جسدي من هذا الموقف!! ورغم أن الشمس مازالت تحرق
الشوارع، ولكنني شعرت ببردٍ شديد .. جاء صوتٌ من خلفي:
-يا أستاذ....

التفتُ لأرى سارة الصغرى الجميلة خلفي .. توقفت ثم قالت:

- "حرز" محبوس .. وانت شكلك ابن ناس .. انت عايزه في ايه؟
نظرت لها والكثير بداخلي .

-لا .. كنت عايزه في شغل .

-وهو انت اللي هتشغله؟!!

قالتها مستنكرة ..

-المهم هو في قسم عابدين .. ومتأخذش أمي .. المكان مكانك في أي وقت، بس ممكن متخليش " حرز " يبجي هنا علشان المشاكل .

-تيجي نقعد في حته؟

قلت لها .. ولا أعلم عن ماذا أتحدث، فقد نطقتها وأبغتنني ردها:

-لا ياباشا احنا مبزوحش شقق حد .. لو عايز اطلع تاني .

-يا غبية مش عايز حاجة من اللي في دماغك ..

-أمال عايز ايه؟!!

-خلاص

أعطيتها ظهري تاركها .. أوقفتنني :

-طب بص .. استناني على أول الشارع العمومي . معاك عربية؟

أشرت لها برأسي ثم سألتني عن لونها .. أحببتها وذهبت للسيارة

أنتظرها

(مذكرة ٩)

"القاهرة ١٩٩٩"

حمامة بيضاء اللون... تحولت إلى امرأة جميلة، ترتدي حمالة صدر بيضاء يخرج منه نصف ثديها. يعتليه روب قصير شفاف.. تطوف حولي بجناحيها محلقة فوق السرير المستلقي عليه. لا ترتدي شيئاً من الأسفل. لم تتضح لي الصورة كاملةً، فلم أر مثل هذا من قبل. هذا حلمي الأول الذي أصبحت به بالغاً. عندما احتمت على هذه الحمامة البيضاء!

إلى أن أستيقظ لأجد شيئاً غريباً بداخل ملابسني... إنه ليس بولاً!!
شيءٌ لزج لا أعرف له اسماً!!

ظننت أنني مريض. هرعت إلى أمي أبلغها عما وجدته في سروالي..... باسمه لي في خجل:

—معلش يا حبيبي انت كبرت.

لم أعرف معنى هذا، ولكن عرفت ذلك بعدها بيوم..... عندما أخبرتني أمي أن أذهب بالأسفل لجارتنا، لأبلغها أنها تريد مقابلتها.

أقف أمام باب الشقة... تفتح لي الباب جارتنا؛ التي تزوجت منذ عام لرجل سكري. يعود بعد منتصف الليل ليضربها وهو غائب عن الوعي. نسمع صراخها ويتجه إليها سكان العمارة حتى لا تُقتل بين يدي زوجها العائد يترنح.

فتحت الباب مرتدية قميص النوم الذي رأيته في حلمي لكن بلون أحمر. اختلاف بينهم في اللون فقط. فقد خال بي الأمر أنها الحمامة البيضاء التي أتت لي وجعلتني "أكبر" مثلما أخبرتني أمي.. أبلغتها أن أمي تريدها أن تصعد بالأعلى.. ردت قائلة:

—طب ادخل..

—لا... علشان ماما قالت لي اطلع بسرعة.

—انت كبرت خلاص... لسة بتخاف؟

—أنا مبخافش!

ثم فتحت الباب أكثر وأدخلتني إلى غرفة الجلوس.. جلست على الأريكة الحمراء القטיפية وهي بجانبني..

درجة لون الأريكة كانت ترتدي. لا يفصلهم إلا لونها الأبيض.. شتت نظري كي لا أحرق في مفاتها، وحين نظرت لها رأيت عيناً

ثاقبةً تنظر إليّ مبتسمة :

—انت مكسوف؟

—لا....

—أمال مش بتبصلي ليه؟

—عادي..

انحنيت قليلاً تجاهي ليتدلى هذا الشيء الذي بُتُّ أشتهيه إلى أن كاد يفلت من حمالة الصدر، كثور هائج محكم الحبس بين حاملتين!!

لا أستطيع أن أبتعد بنظري عنها....

ولم أتذكر أي شيء سوى أن أنزل في سروالي ما أنزل أمس عند استيقاظي. ضاحكةً بصوت عالٍ مللممةً ثورها بداخل حمالتها، حابسة إياهم مرة أخرى... بعد أن كنت مثل الطفل الرضيع الذي يبكي أن ترك صدر أمه بات الخجل يتملكني:

—انت مش كبير؟

هززت رأسي بالإيجاب.

—يبقى اللي يحصل مع الكبار اللي زينا محدش يعرفه؛ ولا حتى ماما.

هنزت رأسي مرة أخرى، وذهبت لأمي . وحين تعطيني الأمر مرةً أخرى
أن أذهب إلى أي مكان كان ممري المؤدي إلى الخارج شقة جارتنا .. إلى
أن غادرنا شقتنا بالمعادي لأمارس ما كنت أمارسه مع الحمامة البيضاء
مع كل غربان الطريق، حتى أجد أول النساء في حياتي ..

صاحبة بيضاء اللون تحولت إلى واحرارة جهلنا
تسببه جارتنا بالاسفل (تتردى صالحة صبر بيضاء
يخرج نصف كديسوا حقا) فوقه هوب قهبر شفاف
كطوف هوب بجنا صوا حلقة فوق اسرير المستقر
عليه (ك تتردى شر من الاسفل) لم تتضح لي الصورة
كاملة (فام اري مثل هذا من قبل .

هذا جلس الازون الذي أصبحت به بالغ (عندنا
واستعملت كل هذه العمامة البيضاء)
إلى أن استيقظ لأجد شرذ غريب بداخل حلايس
واقه ليس بول (شرذ لزم ك اعرف له واسم)
ظننت اني مريض (صرعت على راس ابلغوا حما وهرت
في سرور) (انتمت لي في حبل)
- حخلص يا هيبين وانت كبيرت

لم اعرف حعن هذا (ولكن عرفت ذلك بغرلا بيوم
عندنا اظهرت من ذنك بالاسفل والى جارتنا لانها
تريد حقا بلتوا .

ذقت رعا باب الشقة .. تفتح لي الباب جارتنا التي
تزوجت عند عام لرجل مسكرى (يعود بغير حمت صنف
الليل ليضربوا و صوغائب عن الوعر) نسمع
صراخا و يتجه اليوا ستان العاهرة حتى لا تقفل
بين يد نوجوا الحان تترنج .

فتحت ابواب حريمية قميص النوم الذي رأيته في حلمي
لكن باللون الأزهر فقط واختلاف اللون فقد قال
بي الأزهر مانوا، الحفاوة البيضاء التي كنت في
و دخلت (أكبر) فلما ضربتني ثم (أبلغتها وان
أص ترمدها ذن تصعد بالأعلى ردت قائلة :

- طيب وارضل

- لأ... غلطان حانا قالت لي ذطاع بسردة

- يا انت كبرت خلاص ... لسه بتخاف ؟

- أنا بتخافش !

ثم فتحت ابواب أكثر وأردظتني إلى غرفه الجلوس
جلست على الأريكة الحمراء القبطية (وهن بجانبني
درجة لون الأريكة كانت ترمديه (لا يفصلهم ولا
لونها الأبيض) أشرت نظري إلى لاد أحرق
في صفاتنوا (وبين نظرت لها ... رأيته حيناً ما حبة
تنظر إلى (عيسية) :

- يا انت علسوت ؟

- لأ ...

- أعال حش بتبصل ليه ؟

- حادي

وانت قليل يا بجاهي ما ليتدلي ثديها إلى أن كاد
يضلت عن مهالة الصدر (أكلود هانج محكم الحبس
بين مهالين !

لقد أستطيع أن أشرح بنظري عنها ...
لم أذكر أي شيء سوى أن أنزل في سر والى
ما أنزل أخص عند الاستيقاظ (ضاحكة بصوت
عالي) علامة نورها بداخلها لتوها)
هابسته وإياهم مرة أخرى ... بعد أن كنت حث
الطفل الرضيع الذي يبكي وأن ترك صدر أوص
بان الخجل يتعلمني .

- أنت حشر كبير ؟

هفرت رأس باليد بجانب

- يبقى اللى يحصل مع اللبنة اللى خزينا حورنقى
يخرفه (ولا حتى حاما .

هفرت رأس مرة أخرى (وذهبت لأص .
وهين دى طينس رأس الأخر مرة أخرى أن أذهب
إلى ذى مكان (كان المصنوع الذى فى الخمار ()
شقة جارتنا .

والى أن غادرتنا شقتنا بالعقار (أمارس حالتى
أمارسه مع الحماة البيضاء مع كل خربان الطريق)
حتى أجد ذول النساء فى حياتى .

(مذكرة ١٠) "القاهرة ٢٠٠٩"

بعدها بأكثر من عشرة أعوام أقابل "سهر" .. فتاة لم تتخطي العشرين،
بجسد امرأة في الثلاثين .

ذي مفاتن خلافة، وجسد أكبر بكثير من أقرانها .. جميلة نوعاً ما .
شهوانية أكثر من اللازم ..

تعرفت عليها في الجامعة . كنت بدأت علاقاتي النسائية ولكن بالحد
المقبول لفتى مراهق، حتى وجدتني "سهر" وعرفتني أكثر ما هي الأنثى
كما يجب أن تكون . . . أو بمعنى أدق كيف أتعامل مع النساء، وكيف
لي أن أترك مرحلة البراءة لأتوغل أكثر في حياة النساء .. الفرق بين
امرأة في العشرين وواحدة في آخر الثلاثين كالفرق بين الثمرة التي
مازالت على الشجرة لم تنضج بعد، والثمرة بعد قطفها مكتملة
النضج؛ لها طعمٌ ورائحةٌ ولونٌ معروف . . . وإن كنت لم تتذوق الثمرة
الناضجة من قبل؛ فتكفيك حينها ثمرة الشجرة .

وإن تذوقت الناضجة؛ لن تعود ثانية للشجرة .. نعم هي فتاة العشرين؛

ولكنها أكبر من ذلك بكثير بكثرة تجاربها وعلاقاتها . حتى إنني معها للمرة الأولى بعد عشرة أعوام أتذكر طفولتي مع الحمامة البيضاء .

كانت تعاني سهر كما قالت من مرض يُدعى

(nymphomania)

شراهة الاتصال الجنسي للمرأة . . لا تكفيها ممارسه شخص واحد !!

أخذتني في إحدى المرات للسهر في العين السخنة . . وكانت تمارس كل شيء من أجل رغبتها، دون أي احتياج للمال أو شيء ما . .

لم أحب عبد الحليم يوماً، ولكنني أتذكر تلك الاغنيه التي أرادت "سهر" أن تسمعها لي أثناء عودتنا من السخنة . . وبالطبع هي التي تقود السيارة؛ فأنا التابع حتى في قيادة السيارة:

-بتحب عبد الحليم؟

-لا . .

-بتحبني؟

-معرفش !!

-أنا بقى شكلي هحبك .

-تفتكري؟

-أفكر.

وفجأة توقفت السيارة بين جبلين ضخمين.. وبمنتهى الحرفية رأيت حمالة الصدر تخرج من تحت ملابسها دون أن تخلع عنها القميص التي كانت ترتديه.. فنظرت لها مستغرباً!! ردت استغرابي:

-أصلي لما بلبسها كثير بتوجعني، وهو شكله حلو أصلاً مش محتاجهم.

-آه.. بس ازاي قلعتيه وانتي لابسة القميص؟

-ده اللي شاغلك!؟

يبدو أنني كنت في منتهى السذاجة!! ويبدو أنها أدركت أنني لم أفهم ما تؤول إليه.. أشعلت زر الانتظار، وبخفة لم أدركها اندفعت بالكرسي إلى الخلف وأصبحت فوقي!! وتركتني أكتشف تلك الجبال المتنهدة ذات المنطقتين السوداوتين، وملمس الحرير وفي أذني فقط صوت حلیم (مش يمكن ديه فرحة عمري، والفرحة ما صدقت لقيتها... كان فين اليوم ده غايب عني، تسلمي وتسلم ضحككتها.....).

ففي البداية تقتل البراءة دون أن نعلم لصغر السن والعقل .. والمحيط فقط هو من يعلم كيف يغتال براءتنا... وفي مرحلة متقدمة ندرك ما يفعله المحيط بنا وتأثير الأيام الملوثة .. وهنا إما أن نحافظ بما تبقى وإما أن نختار أن نكون الأسوأ .. انظر إلى إحدى الصور صغيراً وقارنها الآن .. ولا تنس أن تتخيل المستقبل حسب ما اخترت!

يعطوها بأكثر من خمسة أحوالاً أو تعرف على "سحر"
 فتاة لم تتعدى العشرين ما يجسد امرأة في الثلاثين
 ذات عظام خلابة ما وجهه أكبر بكثير من أقرانها ما
 جميلة نوعاً ما ما شعورانية أكثر من اللازم ما تعرفت
 عليها في الجامعة وتنت قد بدأت علاقاتها النسائية
 ولكن بالسر المقبول لفترة حراقك ما حتى ذن وهرتني
 "سحر" عرفني ذلك حاصر الذئب كما يجب ذن نيفي
 أو بعض أصدق كيف أن تعامل مع النساء ما وكيف لي
 أن أتربك من صفة البرودة لأتوصل ذلك في صفة النساء ما
 الفرق بين الصفة فتاة في العشرين و امرأة في ذن
 الثلاثين ما كالفرق بين المرأة التي حازلت على الشيرة
 لم تنجح بعد ما والثرة بعد قطفوا ملتطة الذهب ما
 لو طعم ورائحة ولون مختلف ... وإن أنت لم تتفرق
 الثمرة الناضجة من قبل فتتلف صينها ثمر الشيرة ما
 وإن تزوجت الناضجة لن تعود حرة ثانية للشيرة ما
 نعم -- هي فتاة العشرين و لتنا أكبر بكثير من ذلك
 بالثرة تجارها وعاداتها ما حتى وان دعوا للمرة الأولى
 بعد عشرة أحوالاً فتدرك طفولتي مع الجماعة البيضاء ما
 كانت تخاف "سحر" كما قالت من عرض يدعي

(Nymphomania)

شراهة الإتصال الجنسي للمرأة ما لتلغوا
 ممارسة شخص واحد ما أخذتني في إحدى العرات

لقضاء ليلة في العين المسقنة .

لم ذهب عبد الحليم يوماً () ولكن أذنتك تلك الأذنية
التي أوردت "سحر" أن تسعها إلى ثمناء خودتنا من
المسقنة () وبالطبع حس والتي تقود السيارة ()
فأنا أتابع لها حتى في قيادة السيارة ؟

- بتحب عبد الحليم ؟

- لئ ...

- بتحبيني ؟

- حس عارفا

- أنا بقدر شاك لعصك

- تفتكري ؟

- أفتكر

وضيعة توقفت السيارة بين جبلين ضخمين كوهنتن
الحرفية رأيت لهالة الصدر تخرج من تحت ملابسها
دون أن تتلع عنوا القمص الذي كانت ترتديه ()

فنظرت لها مستغربة () ما ردت باستغراب ()

- أهمل أنا لها بلبسوا كثير بتوجهن ()

والهو شلكه هلو أهلاً حس حوتاهوم .

- آه -- بس انراي قلعتيه ورائتي لادبسة

القمصين .

- ده الل شاكلك ()

يبدو و ذاني كنت في حفتي السذاهة (و يبدو
دانوا أدمرت إن لم أفرهم حاتقول إليه ()
أسعلت نرر إلى انتظاري و بخفة لم أدمر لها انذعت
باللرسس والى الخلف و أصبحت فوقى () تركتني
أنتسف تلك الجمال المنهودة بلوفة ذات الضلعين
السواحل و ينين () و حملس الحرير و من أذن فقط
(فانت جنبنا)



فرض البداية تقبل البرادة دون أن نعلم لصغر
السن أو العقل والمصيط فقط هو الذي يدلم
كيف يفتال برائتنا () وفي مرحلة متقدمة نذكر
ما يفعله بنا وتأثير الأيام العلون علينا () وهنا
و اما أن نتفك بها تبصر و اما أن نتحار أن تكون الأسود
... أنظر إلى إحدى الصور صغيراً و تحار بها الآن ()
ولدتفس أن تتقبل المستقبل حسب ما اخترت !

(مذكرة ١١)
"القاهرة ٢٠١٣"

—هتفضل قاعد كدة ساكت؟

قالتها سارة بعد أن جلسنا في إحدى المقاهي .

—هو انتي ليه بتعملي كدة؟

ضحكت بصوت مرتفع إلى أن لفتت انتباه الجميع حولنا .

—انت عايز ايه؟! والله شكلك دمك خفيف .

انتبهت أنها قالت شيئاً لا أريد سماعه، فعدلت عن كلامها ووجهت
جسدها لي وهي تدخن الشيثة

—بص يا ابن الناس؛ أنا مش عارفة لحد دلوقتي انت عايز ايه!! لو عايز
واحدة تسليك شوف هتدفع كام وبلاش تيجي الشقة؛ ممكن نتقابل
في العربية أريحك وأخلع، بس بلاش العطله ديه ..

—انتني الموضوع سهل كدة بالنسبالك؟

- آه انت شيخ ولا حاجة؟ بس مش باين عليك يعني!

همت بالرحيل .. أمسكت يدها وأجلستها مرة أخرى .

-طب هتفق معاكي على حاجة .

-قول!!

-اعتبريني هشتريكي

لم أكمل كلامي مقاطعة:

-وأنا مش للبيع!!

-بقولك ايه سيبيني أكمل ومتمثلش؛ أمال اللي بتعمله ده اسمه

ايه؟!!!

-اسمه بريح الزبون .

-اسمعي .. كل شهر هديكي فلوس .. وخلينا نتقابل ونقرب من

بعض كأصدقاء .

-آآآه .. تعبان نفسياً وعائز تتكلم .. ماشي .. حسب الشهره كام

كده هكون لك ملاكي .

- لستفضل معاك لده سألنا ؟

خالتوا مسارة بقدون جلسنا في زهدى الكاهن .

- هو انتي ليه بتعطين لده ؟

فدعلت بصوت حرنفع بالس ذن لقتت وانتباه الجميع حولنا

- انت عاينوايه ؟ والله شلك دحك خفيف

ط نتبوت ذنوا حالت شره لا لدره سهايه ما فدعلت عن

كلا هوا ووجوت بسدلاكي وهن تدفن الشيشة .

- بص ط ادين الناس ما انا حش خارفة لحد دلوقتي

انت عاينوايه ما لو عاينوايه واهرة تسليك شوق

لتنفع كلام وبلدش تبين السقة ما حعلن

نتقابل في العنينة هه هه حركه واظلع ما بس

بلدش اللولة ديه .

- انتي الموضوع حول لده بالنسبالك ؟

- أه وانت شيخ ولا صابة ؟ بس عيش باين عليك

أهم وقفتت من جلسنا واهتت بالرحيل (عسلن يرها

وأجاستوا حرة أضرى .

- طوب لفتق حائل على صابة

- قول

- وا عيش ينح صسترناك

لم ذلعل كلاص حطاطة اياه :

- وانا عرض للبيع
- يقولك يا ايه سي بينس العمل و بلاش تعيلك
- أعمال اللى بنحطليه ده اسمه دايه !!؟
- اسمه بيرجع الزبون.
- اسمعيس .. اتل شجر هديكي فلو من وفينا
- نتقابل ونقرب من بعض.
- آه .. تعبان نفسياً وعاوز نتكلم .. طمش ..
- حسب المشورة كأم يا أمه هكوتلك حلاسن

"يارا"

التاسعة ولم يأت!! هل مازال زعلان؟ ولكن لماذا راسلني؟

حذرني كثيراً قبل غيابه أن هذا الوغد الذي يسمي نفسه فرحة العود
تيمناً للعبة على آلة العود؛ وهو حتى لا يستطيع قراءة النوتة بأنه
فتى أصولي ذو اضطرابات نفسية! وأنا بريئة لم أتخط بعد المنصورة
ومجتمعها المغلق!! فقد كان هذا العود أيضاً من المحلة ولكنه منفتح
كثيراً.. جاء إلى القاهري بعتمة القرى لينطلق بدون ائزان.. كنت
دائمة القول بأنه لا يستطيع التلاعب بي؛ فأنا أذيه بين يدي.. كان
يبكي العود لي كثيراً حتى تعلقت به.. تركت شقتي في المنصورة
وذهبت للعيش معه في شقة القاهرة.. استحوذ عليّ وجعلني أرتدي
أفضل ثيابي..... هذا الإحساس الذي لم أصل إليه إلا معه! جعلني
أحبه..... حتى أنني أعطيته كلبة "يحيى" هدية؛ مما جعله يزعل
كثيراً مني.. فهل لهذا السبب لم يأت!!!

(مذكرة ١٢) "القاهرة ١٩٩٨"

التوفيقية... كانت نشأة أبي في قلب القاهرة وسط تجار قطع غيار السيارات، إلى أن أصبح واحداً منهم بعد أن كان يعمل مع أحد التجار الألمان اليهود الذين كانوا يقيمون بمصر قديماً. وعندما غادروا القاهرة مقهورين بعد ثورة ١٩٥٢ تاركين أملاكهم؛ أصبح جزءاً منها لأبي، والذي بدوره أصر أن يصطحبني معه حتى أتشبع منذ الصغر (بالسوق) وأصبح مثله ذات يوم تاجرًا له شنة ورنه.

كان شريف دائماً يضحك قائلاً:

—انت شبه عبد الغفور البرعي وابنه.

الحقيقه لم يخطئ!! فقد عشت حياتي هارباً من عباءة أبي وتجارته. وفي إحدى الأيام المشمسة اصطحبني أبي مكافئاً لي بعد أن انتظمت في العمل معه. ولم أكمل الخامسة عشر حينها! أخذني من يدي إلى المحل الذي بجانبه وكنت دائم القول بأني أريد "عجلة" كبقية أصدقائي.. أتذكر تلك الفرحة العارمة عندما ركبت عليها وأنا

لا أعرف كيف أقودها!! كنت أملك العالم بأكمله عندما أخذت دراجتي ذات المساعدين الجانبيين وطففت بها كل أركان التوفيقية.. أصرخ وأنا أجري.. أضحك بدون سبب.... وحين تمنعت عن نزولي مرة أخرى إلى العمل مع أبي هددني أنه سوف يرجع الدراجة.. واستيقظ ذات يوم ليأمرني بأن آخذ "أنبوب البوتاجاز" على الدراجة وأذهب لأغيرها.. كنا نسكن الدور الخامس.....

حملت "الأنبوبة" الفارغة خمسة أدوار متحدثاً أبي أنني سوف أجد مهمة لدراجتي، وأنه يوجد لها فائدة غير اللعب عكس ما يرى.... حتى أن وصلت إلى الدرج الأخير وانتابني شعور بالكراهة.. لا أعرف حينها لمن!! ولكنني أتذكر حرقه قلبي وألم جسدي وظهري...

تريثت ثم هممت أن أحملها على دراجتي، وكانت هذه معاناة مساوية لنزولي الخمسة أدوار بها! حتى إن أحد المارة قال لي مستنكراً:

—ايه يابني اللي بتعمله ده!!!

وهم بمساعدتي... ثم عدت رافعاً رأسي، متحدثاً الجميع معلناً انتصاري. ولكن.... لم يلبث هذا الانتصار إلا أن تحول إلى كارثة؛ فعند صعودي درجات الأدوار الخمس انزلت الأنبوب، وكادت أن تنفجر....

أوسعت حينها ضرباً شنيعاً على فعلٍ لم أقدر عليه ولم يستوعبه
جسدي الهش . حتى إن جميع جيراننا عطفوا عليّ ..

ومنذ تلك اللحظة لم أر دراجتي مرة أخرى!! ولم أقد واحدة أخرى
حتى الآن ...

فقد أتت الدراجة لرغبة منه، وأخذها لخطأ أيضاً منه!

علمت أنه لا هدايا تُهدى إلا لسبب وراءها؛ حتى وإن كان الأقرب
إليك

التَوْخِيصِيَّةِ ... كَانَتْ نَشَاتٍ أَيْ فِي قَلْبِ الْقَاهِرَةِ
وَسَلَفِ تِجَارِ قَطْعِ غِيَارِ السَّيَارَاتِ مَا إِلَى ذُنِّ الصَّبْحِ
وَأَمَّا مَنْهُمْ بَعْدَ ذُنِّ كَانِ يَعْمَلُ لَدَى ذَمِّ التِّجَارِ
الْأَلْمَانِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا يَقِيعُونَ بِهِمْ قَدِيمًا
وَغَدًا غَادِمًا الْقَاهِرَةَ مَقُورِينَ بِغُدُورَةِ ١٩٥٤
تَارِكِينَ أَعْلَانَهُمْ ... الَّتِي لَمْ يَصْبَحَتْ حَزْرًا حَفْوًا لِأَيِّ
الَّذِي يَدُورُ ذَمُّهُ لِيَعْرِطَ بِهِنَّ حَقَّهُ لِيَتَسَبَّحَ مِنْ
الْمَدْحِ (بِالسُّوْفَا) وَأَصْبَحَ حَتْلُهُ ذَاتَ يَوْمٍ تَاهِرًا
لَهُ نُسْنُهُ وَهَرَهُ .

كَانَ سُورِيًّا دَائِمًا يَفْتَنُكَ قَائِلًا :

- يَا نَبِيَّ عِبْدَ الْغُفُورِ الْبَرِّعِ وَطَائِبِهِ

الْحَقِيقَةَ لَمْ يَفْظُرْ فَقَدْ عَسَيْتَ حَيَاتِي صَاهِرًا مِنْ عِبَادَةِ

أَيِّ دَعْوَاتِهِ مَا وَفَى وَالْهَرَى الْأَيَّامَ الْعَشْمَةَ

وَأَهْلِيهِنَّ أَيْ حِكَاغَاةً لِي بِغَدُورِي وَأَنْتَ ظَهَرْتَ فِي الْعَمَلِ

وَعَدَّ لِي أَلْفَ الْخَامِسَةَ حَسْرَ يَوْمًا مَا أَدْنَى مِنْ بَرِّهِ

وَالِي الْعَمَلِ الَّذِي بَجَانِبِهِ وَنَلْتِ دَائِمًا الْقَوْلَ بِإِنِّي أُرِيدُ

(عَجَلًا) تَبْقِيَةَ زَمَانِي مَا أَنْتَ لَتَلِكِ الْفُرْقَةَ

الظَّارِقَةَ خِذَا مَا رَبِّتَ عَلَيَّ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُقَوِّدُهَا

فَلَمَّا الْخَالِمُ بِأَلْفِهِ خِذَا مَا لَمْ تَدْرَأِجَتِ ذَاتَ الْمَسَائِلِ

الْجَانِبِينَ دَهْوَفَتْ بِمَا كَلَّ أَرْكَانَ التَّوْخِيصِيَّةِ مَا أُنْصَرَفُ

وَأَنَا لَمْ أَجْرِي مَا أَضْمَكِ بِدُونِ سَبَبٍ ...

وحين تصدعت عن نزولى حرة أصرى إلى العهل مع
أبى (لهدنى أنه سوف يربح الدراجة)
والتيقظت ذات يوم ليأصرى بأن أؤخذ " أُنوب البوتالار"
على الدراجة وأذهب لأخيرا كما كنا نسكن الدور الخامس
حملت (الأُنوب) الفارقة خمس أدوار تحدياً لى
والى سوف أجد حومة لدراجتى (وانه يوجد لها فائدة
غير اللعب على ما يرى ...

حتى ان وصلت إلى الدرج الأخرى وداننا بنى شعور
باللح (كد أعرف حينها لمن) ولكن أتذكر حرقه
قلى وذللم حسدى و ظورى ...
تريبت ثم حملتها على دراجتى (وكانت هذه العنائة
حصارية لنزولى الخمسة أدوار بوا) حتى أن أؤخذ
العارة قال لى مستناراً :

... ايه يا بنى اللى بتعلمه ده ...

وهم بساعدتى ... ثم عدت براغماً رأس (تحدياً
الجميع جعلنا انتصارى ما ولكن ... لم يلبث هذا
الانتصار الى أن تحول إلى كارثة ك فخذ الصعود
لدرجات الأدوار الخمس، انزلت الأُنوب ما وكادت
أن تنظير ...

أوسعت حينها ضرباً شديداً على فخل لم أؤقدر عليه
ولم يستوعبه حسدى الوحش حتى داب جميع الجيران
على ما (

و عند تلك اللحظة لم أرى درابتي حرة أضري ما ولم
أقود واحدة أضري حتى الآن ...
فقد زنت ثم لمي لرغبة منهم و أخذها خطأ أيضاً منهم !
علمت أن لا هدايا تصدى إلا لسبب وراثي
حتى حوان كان التقرب إليك ...

(مذكرة ١٣) "القاهرة ٢٠١٤"

بعد أن عرفت "رشا" الأخت الكبرى لسارة، والقدوة لها في نظر رشا - وإن كان لا تقتنع بذلك سارة- عرفت بعلاقتنا أو تشككت، وأرادت أن تعرف كل شيء؛ فلم تجد إلا طريقة واحدة بعد أن فشلت في تهديد وتوبيخ سارة بأن تعود للعمل .. فأخذتنا إلى إحدى الكباريات في المهندسين التي تعمل بها وتسميها "ورشة" .. تذهب لهذا الكباريه في الأيام اللي "الشغل فيها مريح والرجالة نايمة" كما قالت .. أخذتني بأن تجعلني أقضي يوماً على مزاجها . مكان مظلم به إضاءة خافتة مختلفة الألوان .. يجلس على الترابيزات بعض المشاهير، وأمامهم زجاجات الويسكي .. تخدم كل طاولة امرأة؛ منهم صغير السن ومنهم من عفى عليه الزمن .. وجميعهم يعرضون تسعيرة وضع الويسكي أو البيرة في الكوب طوال اليوم خمسين جنيهاً . ترى جزءاً من صدرها مائة جنيهاً . أو إن كنت "شرقان" كما عرفتني رشا وتريد أن تفرغ ما بداخلك "على الواقف" تصطحبك التي تختارها إلى أعلى، وهناك رأيت مجموعة رجال مصطفة خالعين عنهم بنطالهم ..

وتحت كل منهم واحدة تؤدي واجبها على أكمل وجه، إلى أن يستريح
الزبون!

وأول الدور العلوي رجل أقرع يرتدي بدلة منمقة . . وعندما سألت
عرفت أنه يراقب البنات وهم يقومون بواجبهم! حتى لا تتفق إحداهم
مع الزبون أن تلتقي به خارجاً . . تعجبت وقبل سؤالي قالت لي رشا:
—علشان الزبون رجله متخفش على المكان . . ففضل الأفبونة بتاعته
هنا والمكان يفضل شغال .

هذا العالم المليء بالقاذورات مصرح به، ويزوره كبار من الدولة سواء
سياسياً أو تعليمياً أو فنياً!! هذا العالم الذي لم يبال لأي أحداث
بالخارج وكأنه لا يسمع عن شيء مما يحدث!! التقيت هناك بالزميلة
المقربة لرشا، وجلست على الطاولة التي أجلس بها . . واتفقنا أن تنهي
يومها ونذهب سوياً إلى بيتي؛ دون أن تعلم رشا أو سارة .

ولكن قبل أن نذهب وقد بدأت رأسي تصدر تلك الذبذبات عندما
يتملك منها الخمر، وبدأت أن أتحدث بصدق :

—انتي عارفة . . أنا كان نفسي أطلع الواد السكير، والبهيمي، واللي من
غير ضمير .

—وايه اللي مانعك؟

-ظروفي !!

-طب نصيحة من واحدة حكّت فيها الدنيا لحد ما أديتها ضهري
وخليتها تلعب فيه وأنا مستريحة وضميري ميت أوعى تقول
ظروف ولا ناس ولا أصلي . . كون اللي نفسك فيه حتى لو غلط، بدل
ما يبقي أمر واقع أوحش مما تتخيل، وساعتها هتسبب نفسك وتبقي
زبي . -وانتي ايه؟

ضحكت بصوت مرتفع وقالت :

-شريفة يا حبيبي .

هذا الحوار جعل ذبذبات عقلي تتوقف !! هل أنا الآن في مرحلة أنني
أفعل ما فرضه الواقع، أم مازلت أملك الفرصة محاولاً أن أفنع نفسي
أنني أفعل ما أريد . . تركتهم ذاهباً متخلياً عن ليلتي اليوم وعري آخر لا
يضيف إلا ثقلاً لروحي وقلبي .

قرأت بحثاً نفسياً . . كان يتحدث عن كون الإنسان واعياً بالفعل عما
يسميه وعيه وإدراكه، وهل هو بالفعل دائماً على صواب في حالة أن
حكم عقله؟

فمثلاً: تلك الشجرة التي نراها في الشارع هل هي بالفعل شجرة . . .
أم جهلنا بها أعطيناها الاسم والشكل، وأطلقنا عليها صفاتها
الوعي في حد ذاته جهل !!

(مذكرة ١٤) "القاهرة ٢٠١٤"

ذهب..... أرض السحر التي يستوجب كي تذهب إليها أن تمر
على عشرين كميناً أو أكثر!! في كل كمين تفتش؛ إلا إذا كنت
بصحبة أحد الاجانب، فلهم طريقٌ خاصٌ غير المصريين.. طريق مؤمن
كما أخبرني الضابط عندما أرجعني من طريق المصريين، موضحاً بأن
الاجانب لهم طريق آخر.. وعندما سألته:

—والمصريين مش متأمينين؟

ابتسم قائلاً:

—لو مت مش هيحصل حاجة؛ لكن لو أجنبي جراه حاجة هتبقى
مشكلة والدنيا تتقلب.

صدمت من نبرته التي يتحدث بها!! هل يعلم مردود ما يقوله بداخلي
كمصري أم لا؟!

أرغمتني كيارا أن أزور دهب وهي مندهشة كيف لم أزرها من
قبل وهي بدون فيزا!! وأنا أتطلع دائماً للذهاب إلى أوروبا. فذهب

أفضل بكثير من كل البلاد التي مرت عليها كيارا كما أخبرتني ..
هناك تعرفت على إحدى الفتيات الأجانبات المقيميات بمصر تُدعى
"فاطمة" .. فتاة تتحدث العربية بل المصرية بطلاقة ..

ذات ملامح شرقية بحتة. وعندما سألت عن هذا الاسم الغريب
لفتاة سويدية لا تملك سوى الجنسية السويدية عرفت أنها من أصول
عراقية .. وطوال حياتها تعيش في مصر، تعلمت في مدارسها
وجامعاتها .. وأنها لا تحب أن تتركها؛ فهي بلادها ويوجد هنا جميع
أصدقائها. وعندما تذهب إلى السويد تشعر بالغبرة!

فتاة باهته اللون تعاني من قلة المال .. تملك الجنسيه السويدية، كيف
لها أن تعيش هنا وسط الخراب؟!

لم أجد ردًا على سؤالتي، ولكن الفكرة لمعت في ذهني عندما بادرني
إحساس الهجرة إلى السويد بعد أن أتزوجها ..

لم تلبث تلك الفتاة خمسة أيام وأرسلت لي صورها عارية ... معلنةً
الموافقة لعلاقة بيننا .. تماديت مثلما أتمادى في علاقاتي؛ ولكن هذه
العلاقة لها هدفٌ سام وهو: الهروب خارج الوطن.

عرضت سابقًا على كيارا هذا النوع من العلاقة. رفضت ذلك بأنها لا
تريد الزواج، ونحن أفضل هكذا.

ولكن "فاطمة" وافقت... في بادئ الأمر أغميت عيني على أنها
حاملة الباسبور السويدي فقط، ولكنها تشبعت بكل عادات وتقاليد
وعفن المجتمع الشرقي الذي عاشت فيه.. فمثلها مثل معظم النساء
هنا؛ تعرف الغيرة، أو تصطنعها. وتعرف معنى أنها ليست عذراء،
فذهبت لترقع الجزء الأسفل!

كم بشاعة اللفظ!! كأنك تتحدث عن ثوب قطع ولفقرك ترقعه!

أخبرتني كيارا بذلك بعد زواجنا.. ذهبت فاطمة إلى السويد لترتيب
أوراقها لتصطحبني إلى هناك. وذهبت أنا لأوثق أوراق الزواج بالسفارة
السويدية بمصر إلى أن وجدت إحدى صديقات كيارا تعمل هناك..
كنت قد التقيت بها في إحدى حفلات كيارا التي تقيمها في
منزلها.. ابتسمت لي وأخبرتني بالعربية:

إن كنت أتزوج فاطمة عن حب أو مثل باقي شباب الوطن؛؛ كي
يسافروا فقط؟

أخبرتها بكل تأكيد أنني أحبها.. ابتسمت مرة أخرى وقالت:

—فقط أخبرني الحقيقة.. فإن كنت تريد السفر، فأنت لا تستطيع فعل
ذلك معها!!

—لماذا؟!

قلتها باندهاش!! أشارت إليّ أن أترك الشباك الزجاجي الذي تحدثني من خلاله، وأن أدخل لها من باب جانبي إلى المكتب وهناك أخبرتني أن فاطمة من أصول عراقية .. أعرف ذلك سابقاً ... أخبرتها ...

أكملت بأن والدها هرب من الجيش العراقي محكوماً عليه بالإعدام لهروبه من الجيش أثناء الحرب مهاجراً إلى السويد .. إلى أن أتى بكل عائلته هناك . وأنه هارب الآن إلى العراق مرة أخرى بعد موت صدام تاركاً السويد!

لأنه أكبر مزور عرفته السويد لجوازات السفر!

وأن فاطمة بالفعل تحمل الجنسية السويدية، ولكن عليها ديون للدولة نتيجة أن السويد تمنحها الكثير من المال مقابل الدراسة، وقد أخذتها فاطمة مبلغاً أنها سوف تدرس بمصر حتى الماجستير .. وعندما عرفت السفارة عرضت عليها أن تدرس في إحدى الجامعات السويدية فهي بالتأكيد أفضل من مصر؛ ولكنها أصرت على الدراسة في أرض الكنانة ... ولكنها لم تكمل حتى البكالوريوس، وقد أخذت ما يعادل الثلاثة مليون جنيهاً مصرياً كي تدرس في إحدى الجامعات الخاصة المصرية، متكفلين المعيشة والسكن خلال الستة أعوام الماضية . وأن النظام في السويد له الحق بأن يسترد أمواله ما لم تقوم بالمهمة التي

من أجلها أخذت من مال الدولة، غير أنها لا تدفع الضرائب . . فنسبة
أن أذهب إلى السويد بصحبتها شبه مستحيلة، لأن القانون هناك لا
يعطيها حقوقها كاملةً إلا بعد أن تبدأ تنتظم في سد ديونها . . .
وقتها فقط عرفت سر حبها للعفن؛ فبالمال الذي تأخذه من هناك تعيش
هنا برخص الجنيه!

فلماذا ترهق نفسها بالعيش في السويد!! وهنا تعيش ببسبورها أفضل
من المواطن نفسه، أفضل من أن تعيش في بلادها . . وما أنا إلا وسيلة
كانت تريد أن تأخذ الإقامة منها!

طلقت فاطمة بعد ثمانية وعشرين يوماً فقط زواج عندما زال سبب
اقتراني بها . . . مخبراً كيارا بما حدث . . . ضاحكة بأني سوف أذهب
لنساء العالم وسوف أعود مرةً أخرى لها!

"يارا"

أعتقد أنه تأخر كي يرى أمه وإخوته، فهو بمثابة الأب لهم..

العاشرة مساءً أتى..... أخذني بين أحضانه أكثر من الربع ساعة دون كلمةٍ منه أو مني.. لم يعد حضنه دافئًا كما كان، ولكن به أمان الدنيا؛ خلاصٌ لوحشتي ووحدتي.

—لماذا تأخرت؟

لم يرد ولم أرد الرد.. المهم أنه أتى..... لم يحك لي أين غاب؛ ولكنني أخبرته بجزء عما حدث في غيابه وأهمها حملي وتسقيطي للطفل، وبعدها خلعي للحجاب بعد ارتدائه..

— بردة هتقلعي الحجاب؟

قالتها أختي الأكبر بنبرة ترحي وكأن أبي سوف يعنفها هي ولست أنا!! بعد أن احتد الخلاف بيننا؛ فقد رأني أحد أقاربنا في القاهره بدون حجاب.. وعندما أبلغ أبي الذي فارقت وفارقت عائلتي منذ أن كنت ابنة الثامنة عشر لأترك بورسعيد وأذهب إلى الجامعة بالقاهرة

وأسكن بمفردتي .. فجأة تذكر أن له ابنة سوف تلتخ سمعته بخلع
حجابها!! وترك عمله ليأتي إليّ اليوم بعد أن ارسل أختي بالتهديد بأنه
سوف يقطع عني كل سبل العيش بمفردتي .

دق جرس الباب .. أدمعت عين أختي ، أصابتها تلك الرعشة عندما
تقف أمام كلب مسعور سوف ينقض عليك .. لم تعرف ماذا تفعل!!؟
فقط تقف مكانك بلا حراك وكل ما بداخلك يريد المغادرة .

ابتسمت لها لأهون عليها، فلا يعلم إحساس المرأة إلا من كانت
مثلها .. ونظرت على جمال شعري الأسود في المرأة وأرجعت خصلتي
الأمامية للخلف حتى تتثنى لي الرؤية الواضحة، ثم فتحت الباب ...

طال الانتظار عند عتبة الباب ... أصبحت عيني لأول مرة في عين
أبي ... ولكن عيني مبتسمة وعينه جاحدة!! عيني فيها اشتياقٌ
لخصنه وعينه جاحدة!! عيني تستعيد ذكريات طفولتي بين يده وعينه
جاحدة!!

—حجابك فين؟

—في درج التسريحة .

—ادخلي البسيه .

—حاضر؛؛ وبعد ما تمشي هقلعه

صفعني على وجهي حتي أُغشي عليّ، ولم أفق إلا بعد صراخ أختي وهي تبعده كي يترك تلك الطرحة وهو يلفها حول عنقي ويقول:

—مش أحسن ما الناس تاكل وشي .

دفعته بشدة بعد أن اشتد اختناقي وكادت تفارقني الحياة . . الحياة التي أحببتها بالبعد عنهم!!

يقف بذهول . . . وكأنه يقول بداخله باستغراب: ابنتي الصغيره تدفعني . . رافضة أن أدق عنقها بالطرحة!!

وما الذي سيدور برأسه غير ذلك؟! لا يهم ما يفكر به . . تتسع عينه وهوان انتصاب جسده، وأمامه أسدلت علي وجهي خصلات شعري الكثيفة جعلت مني شبهاً يخيف في الظلام.

فلم يتخذ خطوة إلى الأمام فقد استشعر بداخله أنني سوف أدافع عن وجهي ونفسي بكل ما أوتيت من قوة . . وجه كلامه لأختي

—البت دي تسيب الشقة وتشوفلها أي مكان ثاني . . يا إما ترجع بورسعيد ومفيش تعليم ولا

لم يكمل كلامه فقد تركت ما يقوله وخرجت من باب المنزل . . اتجهت نحو السلالم المؤدية إلى باب العمارة لأجد أخت أبي المنتقبة رويًا

وجسدًا وشكلًا تنتظر عند الباب

-انتي ازاي نازلة بشعرك كدة؟

-انتي مالك؟

-أبوكي مرضيش يخليني أطلع معاه علشان هجيبك من شعرك .

-وأنا هسكتلك؟!!

-اطلعي ولمي نفسك بلاش فضايح

-بقولك ايه!! فاكرة لما خدتيني بالعافية للجامع والشيخ قال
عن الشافعي بصوت وحش (ضحكت فقالوا ألا تحتشم! بكيت
فقالوا ألا تبتسم! بسمت فقالوا يرائي بها .. عبثت فقالوا بدا ما
كتم)

أنا بقى بسمعها كده وده الفرق بيني وبينكم .. وغنتها وصوت "عبد
الرحمن الحتو" في ودني وهو يغنيها بصوته الجميل (أيقنت أنني
أيقنت أنني مهما أردت رضا الناس لا بد من أي ذنب .. فيارب
عفوك .. سأبقى مخلصًا ما حييت)

ثم دفعتها بقوة بعد أن أخذت بين يديها خصلات من شعري شادةً
إياه ..

وذهبت وفي القلب غصة

(مذكرة ١٥)

"القاهرة ٢٠٠٢"

يملاً الشجر سور المدرسة الخارجي .. كان الخريف قد بدأ وبدأت أوراق الشجر في السقوط واحدة تلو الأخرى .. هذا المشهد الذي دوماً ما أحببته .. كانت إشارةً بحياةٍ جديدةٍ يسقط فيها القديم ويحيا كل ما هو جديد، بعد زوبعة الاضطراب النفسي الذي مررت به عندما فارقت أصدقائي .. وصلت إليها مع أبي كي ألتحق بمدرستي الجديدة .. عندما ضاق به الحال وتركنا شقتنا بالمعادي لننتقل إلى إحدى المناطق الأقل قامّةً ومحيطاً

استقبلنا مدير وصاحب المدرسة لمعرفة الشخصية بأبي .. وأول ما قاله بعد أن رأى درجاتي التي تخطت النصف رافئاً من المدرسين:

—هنا مدرسة المتفوقين بس وشعارنا: "مستقبل الصفوة".

هذا الشعار الذي قابلته مرة أخرى بعد سبعة أعوام في الجامعة، والشيء المشترك بينهم أنها مجرد وسيلة لكسب المال فقط .

ولا يوجد بهم إلا القليل من المتفوقين ... والحقيقة أنهم يقبلون أي فرد

يدفع مصارينهم!

وهنا في المدرسه الجديدة تعرفت على أبي الروحي الذي أخذت من روحه وأسلوبه كل شيء "محمد الأدهم"

مدرس التاريخ الذي عُين للتوفي نفس السنة كمدرس بعد أن تخرج من جامعتة.... لم يكن الأدهم مدرساً يعرف التاريخ المزيف الذي ندرسه فقط؛ بل كان مرشدي حياةٍ أخرى.

زرع في حبّ الكمال الذي كان ينقصه، وحبّ الشهرة التي كان يتسم بها، وحلمه الذي فقدته في طرقات الحياة.....

أخذني من براثن الفشل وحول عنادي لكل من حولي إلى تحدٍ.. كي أكون متفوقاً في مدرسة الفشله هذه!

تفوقت بالفعل.. وكبرت وعرفت أن تفوقي في محيط مدرستي بتلك المناهج أكبر فشل في الحياة الحقيقية...

حكى لي كثيراً عن حياته الفقيرة وقهر والده له، الذي كان يشبه والدي! والاثنان متفقان بأن المال هو الهدف الرئيسي في الحياة؛ فوالده بفقره.. ووالدي بغناه!

اكتشف معي حياة البزخ، وعرفت من خلاله نعمتها.. كان عكس

والدينا؛ فدائمًا كان يحثني على النجاح أولاً في كل شيء،، والأخير هو المال . إلى أن اختفى وتقطعت الأوصال بيننا!! عندما ذهبت إلى تلك الجامعة الخاصة متحدثاً أبي بأني سوف أصبح إعلامياً مرموقاً وليس تاجرًا .

اختفى الأدهم عندما أصبح بالنسبة لي نسخةً قديمة . . لا تطور فيها ولا تقدم . فكيف وهو معلمي أن أتطلع إلى الجديد؛ بينما يقبع هو في مكانه مستكفياً بحاله، مقتنعاً بأن قد فات الأوان أن يصبح ما يريد وليس ما يريده القدر تركته أو تركني عندما أخذتني الحياة الصاخبة المليئة بالسهر والمناظر الخداعة . . وعندما عدت لأبحث عنه وجدته ولكن أصبحنا على غير عادتنا!!

لا تتوافق أفكارنا سويًا . . . أصبحت أنا ثورياً وأصبح هو منافقاً لكسب عيشه . . أصبحت أنا في عنفوان الشباب وأصبح هو في بداية الشيخوخة .

تجنبنا بعضنا بعضاً حباً وحفاظاً على الذكريات بيننا وذهب كلُّ منا في طريقه . .

لأتوه أنا وحدي دون أب أو مرشد روحي

يهان السجور سوري الموهبة الخارص كما كان الخريف
قد برأ و بدأت ذوراق السجور في السقوط واحدة تلو
الأخرى (هذا المسود الذي دوها أحيته ..
كانت إشارة بحياة هدية) سقط فيها القدم
~~ويعيا~~ ويعيا كل ما هو هديد كما بعد زوبعة الاضطراب
النفسي الذي صرقت به عندنا طرفة أهدر كأي بك
عوصلت إليها مع ذي كسى (لتحق بمدرسى الجديدة)
عندنا ضاق به الحال و تركنا شفتنا بالمعادى لننتقل
إلى إحدى المناطق الأقل قامة ومحيط ..
استقبلنا مدير وصاحب المدرسة لمعرفة الشفوية
بأى (و قول ما حاله بعد أن رأى درجائى التى تطلعت
النصف رةفة من المدرسين)

— هنا مدرسة المتفوقين وبس وسفارنا
" مستقبل الصفوة "

هذا السخان الذى قابله حرة أهدرى بعد سبعة ذواق
فى الجامعة (و السس المشترك بينهم : وانوا مجرد
وسيلة لكسب المال فقط .

ولا يوجد يوم بالذ القليل من المتفوقين (والحققة
ان كلاهما يقبل أى ~~شئ~~ فرد يدفع مصاريفهم !

وذا في المدرسة الجديدة تعرفت على أبي الرومي
الذي أخذت من روحه ورسوله كل شيء
" محمد الأدهم "

مدرس التاريخ الذي عين للتو من نفس السنة
كمدرس بغير أن يخرج من جامعته كما لم يكن الأدهم
مدرس يعرف التاريخ المزيف الذي ندرسه فقط
بل كان حريصاً على الحياة أحرى .

زرع قصص حب المال الذي ينقصه ما وجب السورة
الذي كان يتسمر به ما و علمه الذي فقده في تلك
طرق الحياة .

أخذني من يرايين الفضل و هوول عنادي لكل من حوى
والى تحدي ما كس آكون متفوق في مدرسة الفضلة
صحة .

تفوقت بالفضل ما وكبرت وعرفت أن تفوق في حويل
مدرستي ذلك فضل في الحياة الحقيقية ...

كان لي كثير من صباه الفقيرة ما وقوس والده له
الذي كان يشبه والدي ما والإثنان متفقان بأن لهال
هو الودع الرئيس في الحياة ما فوالده بقره ووالدي
بغناه .

التشف وعى صباه البنغ ما وعرفت من ضلله ذمته ما
كان الأدهم جلس والدي ووالده ما فداثماً يحسن على
النجاح أولاً في كل شيء قبل المال .

والى أن يفتض وتقطعت الأوصال بيننا) عندما
ذهبت إلى تلك الجامعة الجامعة الخاصة حتى بدأ ذى باني
سوف أصبح باعلا جياً حراً وقراً وليس تاجراً .

والفتض الأدهم عندما أصبح بالنسبة لي نسخة قديمة (
لا تطور فيها ولا تقدم) خليف وهو مخلص من تطوع
بالي الجديد يصبح في مكانه مستقياً بوجهه) مقنعاً
بأنه قد فات الأوان أن يصبح حائريه وليس حائريه القدر
تركته أو تركت عندما ذهبت الحياة الصافية العلية
بالسحر والمظاهر الخداعة ... وعندما عدت لأبنت
عنه) وجدت ... ولكن أصبحنا على غير عادتنا .
لا تتوافق أرقامنا سوياً ... أصبحت أنا لوكي وهو
حناق للسب عيشه) أصبحت أنا في عنفوان الشباب
وأصبح هو في بداية الشيخوخة .

تجنبنا بعضاً بعضاً جيداً) ومفاطاً على الذكريات بيننا
وذهب كلنا حناق طريقه ...

لأنه أنا وهدى دون أرب ومرشد رومي

(مذكرة ١٦) "القاهرة ٢٠١٢"

مهترلة ومقطعة

تللك السنة التي أخرجت العجز من داخلي ليطغى عليّ وعلى من حولي .. أعتقد كانت الشرارة الأولى لما وصلت إليه الآن . عندما عملت بإحدى الجامعات الخاصة كمدرس مساعد، أو بالتحديد متخصص التدريب العملي لكلية إعلام .. كنت في مقتبل العمر، وذا خبرة في المجال العملي الذي سره شغفي بالسينما والفن . عُينت دون اختبارات لمعرفتي السابقة بالعميد والمعيدن الذين معظمهم من النساء .. أعتقد أنه سر من أسرار تعييني دون مجهود .. انسقت وراء الموقع المرموق الذي أغروني به، وهو ما بعد الماجستير والدكتوراه .. وأني سأصبح ذا مكانة عالية ..

لم أكن أعلم أن تلك الأيام سادخل فيها تاركًا روحي لأرتدي الزي الرسمي أو شبه رسمي كي يتضح الفرق بيني وبين الطلاب الذين

أدرس لهم على حد قول العميد!

في البداية كنت لطيفاً وقريباً من الطلاب حتى وقع خلافٌ حادٌ بين أحد الطلاب الأغنياء وأحد المعيدات الذين ينظرون لهؤلاء الطلاب بنظرة نقص بأنهم أصحاب علم والطلاب أصحاب مالٍ فقط . حتى وإن أحد الدكاترة في إحدى المرات في شجار مع طالب نعته بأنه يركب المرسيدس ويمرح بها تاركاً مذاكرته!! الحقيقة التي اكتشفتها أن جميعهم مزيف!! يأتون بي كي أسوي الخلاف حتى وإن تطاول أحد الطلاب . . . ففي تلك الأماكن لا يستطيع حتى عميد الكلية توبيخ أحدٍ من الطلاب؛ وخصوصاً إن كان والده أو أحد أقاربه من المسؤولين أو من الطبقة التي تلبى رغبات هذا العميد الوصولي

تدريجياً تحولت شبه الملابس التي أصبحت أرديها؛ غامق اللون . . روتيني المظهر والروح . . حتى أن قررت ترك الجامعة والحياة الأكاديمية، وفتح شركتي الصغيرة دون أي خبرة في هذا المجال . . ولكنني سوف أترك هذا العبث . . هذا المجتمع المزيف ذا السلطات متداولة المصالح . . أتذكر في اجتماع المعيدين مع عميد الكلية ورؤساء الأقسام بأن أحد الطلاب سوف يتغيب هذا الفصل الدراسي لإصابته أيام الثورة التي لم يمر عليها عام، وقد فقد واحدةً من عينيه نتيجة إصابته بخرطوش . . أتذكر حينها ماذا قال العميد :

« أنا مش عارف إيه اللي نزله!! حاجه تقرف ينزل زي الأهل وعينه
تروح ويقرفنا معاه في تأجيل وزفت »

لم يسعني الكلام!! كان الاجتماع قبل الحفله السنوية التي تُقام في
الجامعة، وفوجئت في الحفل بأن العميد يحيي الثوار من الشباب؛
وبالأخص الطالب الذي أُصيب في عينه.. هذا البطل -على حد
قوله- أنه هو وجميع دكاترة الجامعة سوف يقفون بجانبه فور
عودته....

انهال التصفيق الحار.. لمعت عينه.. وتساوى شعره المصبوغ بعناية
وانطفأ في عيني إلى الأبد.

هذا العام الباهت الذي أوضح حقيقة البلد في صورته الصغيرة
(الكلية) فرئيسها العميد ورجالته وحاشيته دكاترة الأقسام من تحته..
ومن تحتهم الأجهزة.. والطلاب ما هم إلا الشعب المضحوك عليه.....
يجلس العميد بالمكتب بمفرده وقد وصل للتو.. ولقد علمنا بوصوله
من خلال هذا العطر الذي تعودت عليه أنفاسنا.. وجميع الموظفين
قاربوا على الانصراف، نجلس نحن بغرفتنا التي تكونت من أكثر من
اثنتي عشر مكتباً منتشرين في تلك الحجرة الخائفة.. فعندما أصل

صباحًا هنا يضيق نظري وتتحول تلك المكاتب إلى أسرة للمرضى في
مستشفى حكومي مثل التي جلس بها هذا الرجل المسن عندما رأيته
برجل متورمة كادت أن تنفجر ويبكي

-انت كويس يا حج؟

-أنا بموت يا بني . . .

يبكي بشدة

-تحب أوصلك في حته؟

-ماليش مكان !!

هممت أن أضع له المال الذي أخرجته من جيبتي .. فاجأني قائلاً:

-لا.. لا والنبي ... لا

قلت له مستغرباً:

-ايه اللي لا؟!

-أنا مش عايز فلوس والله .. أنا عايز أمشي على رجلي !!

أفقت على صوت إحدى الزميلات

—صباح الخير..

أحيانا لا أستطيع رد الصباح، وأحيانا أرد الصباح المثقوب بالنوم ورائحة العرق التي بات معظم راكبي الميكروباص بالأمس بها من شدة التعب؛ فلم يجدوا وقتاً كي يستحموا.. فهمهم الوحيد النوم كي يستطيعوا الاستيقاظ مبكراً للدوران في الساقية مرةً أخرى.

ينتهي اليوم ونكتشف الصديقة الممتلئة تضع العطر ذا الرائحة النفاذة.. فنعلم أنه قد وصل، وهي فقط التي تعرف موعد وصوله بالتحديد.. نذهب جميعاً كي ننصرف، وتسبقنا هي إلى مكتبه.. تكرر الفعل طيلة الثماني أشهر التي عملت بها هنا.. أثار هذا فضولي فقررت أن أمارس عادةً لم أمارسها يوماً وإن كانت تتسم بالقبح أو عدم الأخلاق لا يهمني فحياتي ومن حولي قبح!! وما يزيد على القطران غير القليل من الاتساخ.. لا يهم...

انتظرت حتى ذهب الجميع وجلست في الحمام.. وهم داخل مكتبه الكبير.... تسلفت حتى أصبحت قبل الباب بقليل. لاحظت أن الباب زجاجي، وخيالي قد يظهر لهم!! انحنيت حتى أصبحت كالشعبان يتلوى حتى يصل إلى مبتغاه وكل ما استطعت سماعه.....

تلك السنة التي أضرمت العجز من داخلي ليظهر على
وحلي من حولي ما أعتقد تلك الفترة كانت الصرامة
الأولى فما وصلت إليه الآن عند ما عملت بأصري الجاد
الخاصة كمرس مساعد أو بالتخدير حتى يرضى القريب
العمل بكلية ما علمت كنت في حقبيل العصر وذو طيرة
في المجال العمل الذي سره شغف بالسنية والعق
عينة دون إختيار له مخرجات السابقة بالعصر
والمعيرين الذين معظمهم من النساء أعتقد أنه سر
من أضرار تعيش دون جهود ما أعتقد و مراد الموق
المعروف الذي أغرقت به ما وهو ما يجر العاجيستير
الذاتورة بأنفس أصبح ذو حكمة عالية لم أكن
أعلم أن تلك الأيام سأفضل فيها تاركاً مروص لأرتدى التي
الرسمي كمن يتضح الفرق بين وبين الطلاب الذين أدرين
لهم على حد قول العبير!

في البداية كنت لطيفاً وقريباً من الطلاب حين وق
خلاف ما بين زهر الطلاب الأغنياء وزهر المعيدات اللاتي
ينظرون لهؤلاء الطلاب بنظرة نظهن ما يا نحصر أصحاب علم
والطلاب أصحاب مال فكل حتى ودان أحد الذكورة في
وأهدى المرات في شجار مع طالب ذعت به لأنه يترك المرسيس
وعرج لي تاركاً ذآلته!!

الحقيقة التي التفتفتها أن جميعهم منزيه (في تلك الأوقات)
لا يستطيع من غير اللية تبويخ زهد الطلاب (وهو صها)
بان كان والده أو زهد زعماره من المسؤولين أو من
الطبقة التي تلبس منجات هذا العصر الأصولي ...
تدريجياً تحولت نسبة المدارس التي زهدت أمر قديها
خامق اللون (مرفئس كظهور الروح) ما من أن قمرى
ترك الجامعة والحياة الأكاديمية وفتح سرتس الضخمة
دون أن يرى ضربة من هذا الجوان (والتي سوف أترك
هذا العبت ..

هذا المصنع المنزف ذو سلطاته وحدها واة المصالح.
أنتلر في اجتماع المعيين مع عمير اللية ورؤسا
الذقسا) بان زهد الطلاب سوف يتخب لهذا الترم
إصابتة ذيل الثورة التي لم يصر خليط عال وقد فقدوا
عينيه نتيجة إصابتة بخس طوش (أنتلر صها)
ماذا حال العصر؟

"أنا منس خارف إايه اللز نزله (هابة تصرف ينزل
نرى الأهل وعينه تروح ويعرفنا مكانه من تأصيل
ونزفت"

لم يسعني الكلام ... كان الإجماع قبل الحلقة السنوية
التي نظمت في الجامعة (وفوضت بان العميد يحيى التوازي
عن الشباب وبالآخص الطالب الذي ذهاب في عينه
هذا البطل) ... على صر قول العميد بأنه
هو وجميع دلائره الجامعة سوف يقفون بجانبه
خبر خودته ...
وأيضاً التصفيق الحار ما ولعمري عينه لم تساوى
شعره المصبوح بخناية (وكان نظري في عينه والس الأبر

لقد الغاب البياض الذي ذو وضع حقيقة البلاد في صورته
الصغيرة (اللبية) فرئيسها العميد ورجالته ورجالته
دلائره الذنبا من تحته ما ومن تحته الذبورة (

والطلاب حاهم والد الشعب المضمون
عليه ...

يجلس العميد بالملتبس بمضربه (وقد وصل للتو)
 خلاصنا بوصوله من جلوس هذا الخطر الذي آخوذت
 عليه آنفاسنا (وجميع الموظفين هم يواجلس
 اليه نصراحي) يجلس نحن بغير قننا وعقد تكونت
 من (لش من (لش عشر قلبه مستشرفين في الجبهة
 الخائفة (فعندما وصل صباحاً هنا يرضق نظري
 وتحويل تلك المحلات إلى أسرى للمرضى في
 مستشفى كلومس (مثل التي جلس بها لهذا الرجل
 المحسني عندما رأيته برجل متورمة كادت أن تنفجر
 ويبيس

- وانت أومس يا حاج ؟

- أنا بصوت يا بنس

- تجيب ذو صلك في صفة

- حليش حكان

كصمت أن ذضع له المال الذي أضره من جيبس
 فاجتس حائلك :

- لأ .. لأ والنس .. لأ

قلنا له مستغنياً ؟

- يايه اللس لأ ؟

- أنا منس حاوننا خلوس والله ما أنا عايز أومس على كرليس
 أفضت على صهوت واهدي الزميلات

- صباح الخير ..

أحياناً لا نستطيع هـد الصباح (و أحياناً نـدد الصباح
المعتوك بالنوم ورائحة العرق التي باتت حـظهم ركبـي
الصـيلـر و يـاصـ بالـأصـ بـوا من سـمـة التـعـب مـا فـلـم
يـجـدوا و حـتـاً كـافـياً للإسـتـحـاطـاً مـا فـهـمـوم الوصـير
النوم نـسـي لـيـسـتـطـيـعـوا الإسـتـيقـاظ مـبـتـداً للدوران
في السـاقـية حـدة أضرى .

ينتهي اليوم وتنتهي الصدقة المصروفة ترفع العطر ذو
الرائحة الطاهرة ما فاعلم انه قد وصل ما وهن فقط
التي تعرف موجد و صولة بالتحديد ما نذهب جميعاً الى
نصفه وتسبقنا هم الى قلبه ما تكرر الفعل طيلة
الثمان أشهر التي عملت بها هنا

أثار هذا فضول فقريت ان امارس عادة لم امارسها
يوماً ما وان كانت تسهر بالصبح ووعت الأظلام

لا يوجد من فحيتي ومن حولي .. قبح .. وعائز يد على
~~الطهران~~ انظر ان غير القليل من الإرسال .
وانظرت حتى ذهب الجميع وخلصت في الحمام ما وهم
داخل قلبه البصر .. تسلمت حتى أصبحت تعين
الباب بتليل ما لا حظت ان الباب نرجاص ما وضياي
قد يظهر لهم ما انحنيت حتى أصبحت كاللبنان يتلوى
حتى يصل الى من متخاه ما وكل ما استطعت سعادته
وعائز الى ت

(مذكرة ١٧) "القاهرة ٢٠١٥"

أخذتني "يارا" إلى إحدى الندوات العلمية عن نشأة الكون.. وكان يشغلني هذا كثيراً حينها إلى أن أشفقت عليّ وأبلغتني أن أقابلها في الجامعة الأمريكية لنحضر سوياً تلك الندوة لدكتور إنجليزي.. لم تكمل الندوة النصف ساعة وأتذكرها جيداً:

دخل الدكتور إلى القاعة المليئة حيث اكتشفت أنني لستُ وحدي الذي يبحث عن الإجابة.. نظر إلينا لبضعة ثوانٍ حتى هدأ الجميع.. اتجه إلى اللوح أمامه وكتب بالإنجليزية بالقلم الأزرق:

"كيف بدأت الحياة؟"

ثم استدر نحونا وعلى وجهه علامات الفضول وقال:

—إذا؛ من منكم يعرف الجواب؟

بعد ثوانٍ رفع أحد الحاضرين يده بالإجابة:

—الله خلق الكون والحياة علة الكرة الأرضية.

رد الدكتور قائلاً:

-جيد .. هل من أفكار أخرى؟

رفع أحد الحاضرين الأجنب:

-يُوجد فرضية علمية تُسمي بانسبرميا "التبذر الشامل"؛ حيث تقول
إن الحياة بدأت في مكان آخر في الفضاء وأنها وصلت إلى كوكب
الأرض وبدأت بسبب توفر الشروط المناسبة (وجود الماء بشكل ثلاثي)
لها على كوكب الأرض.

-جيد .. شكرًا ... هل أحد لديه أفكار أخرى؟

رفعت يارا يدها وفاجأتني بجوابها:

-من الممكن أن يكون هذا الكون عبارة عن برنامج محاكاة وأننا لسنا
إلا برمجيات داخل نظام محاكاة كوني .. الحياة على كوكب الأرض
ليست سوى عملية برمجية داخل حاسوب كمي كبير، نسميه نحن
الكون.

نظر الجميع إلى يارا باستغراب حتى الدكتور .. وابتسمت أنا. تلك
المجنونة متأثرة بالأفلام التي تشاهدها .. ثم جلست بعد أن قاطعها
أحد الحاضرين قائلاً:

-يوجد فرضية تقول إنه في بدايات كوكب الأرض وبعد أن انخفضت
درجات الحرارة عليه تعرضت المياه المتواجدة على السطح لشحنات
كهربائية بسبب البرق

قاطعهم أحدهم قائلاً وقد احتد النقاش :

—فرضية البرق ليست دقيقة بسبب عدم قدرتنا على تكرار نفس الشحنات الكهربائية الناتجة من البرق .. أيضاً يوجد فرضيه مشابهة تقول إن الفوهات البركانية هي التي أدت إلى نشوء الحياة بحكم أن قطاع المحيطات أكثر استقراراً من سطح الأرض حيث كانت الشهب تتساقط وتقصف سطح الأرض باستمرار .

صمت الجميع .. وشعرت حينها بأني جاهل .. ما هذا النقاش !!

قطعت صمت الجميع وسألت الدكتور متلهفًا لمعرفة الإجابة :

—ما هو الجواب؟

رد الدكتور قائلاً :

—الجواب هو أنني لا أعرف!!!!!!

تعلموا أن تقولوا لا أعرف .. الاعتراف بعدم المعرفة هو الخطوة الأولى نحو اكتشاف ما هو مجهول لنا .

لا أحد يعرف كيف بدأت الحياة؛ وربما واحد منكم سيكشف النقاب عن هذا اللغز.. لكن أولاً يجب أن نعرف أننا لا نعرف .

ثم ترك القلم الذي بيده، وانصرف.....!

(مذكرة ١٨) " القاهرة ٢٠١٤ "

بسبب حرز و كيارا وفضولها وقعت في علاقتي مع سارة .. أصبحت
أدمن لونها، صوتها، حركة جسدها .. حتى بعد أن خرج حرز من
الحبس أخفيت علاقتي بأخته

لماذا أثقل روحي المعدومة بالكثير من العلاقات التي تجردني مني؟!
تعاطفت معها لأبعد الحدود، حتى خصصت لها دخلاً شهرياً .. ولكن
ماذا سأفعل لأخذ عصفورٍ من مستنقع تماسيح؟!

أصبحت سارة الشباك الذي أطل منه على عالم لم أره من قبل ..
مجتمع لم أعرف أنه موجود . كيف يعيش المرء مقتنعاً بأنه بأفضل
حالاً بمقولة (ارض بالمقسوم)!!!؟

هل المقسوم بأن تتأقلم سارة وأمها وأختها في هذا الوضع؟

أصبحت أتردد كثيراً على وكر أمها وكأني قوادهم!!

وفي إحدى المرات تشاجرت مع أحد الزبائن الذي اختار سارهة ..

وانتهى الشجار بنزولي من البيت ومعى سارة... جلسنا في إحدى
البارات التي عرفتني عليها كيارا، احتسينا الكثير حتى أصبحنا
سكارى... أحب أن أصل لتلك المرحلة؛ وأحببت سارة أكثر عندما
غاب لسانها، وأصبحت تنطق بما في داخلها:

—رقاصة... عايزة تشتغلي رقاصة!؟

—آه... علشان بتطلع للشرف..

—تطلع وشرف!؟

أضحكني كثيراً قولها!! كيف لهذه الجاهلة أن تقول هذا!! يبدو أن
السكر لم يخرج فقط ما بداخلها من قبح؛ ولكنه يجعلها فيلسوفة...

—أشتغل رقاصة وأشقى شوية.. أعمل قرشين وربنا يكرمني وبعد ما
أقف على رجلي أحقق حلمي...

—آه والله عندك حق وأنا كمان...

تضحك.....

—هتشتغل رقاصة؟

—لا... بس أي شغلانة عكسي وخلص.. علشان بردة بتطلع

للشرف، ونفسي ف يوم أكون محترم .

—كلنا بنشتغل رقاصة .. على أمل اننا بعدها نحقق أحلامنا؛ بس
الحقيقة اننا بننسى احنا كنا عايزين ايه، وبتاخذنا حياة الراقصين ...
ف بنرقص في المواصلات، ومع الناس .. وعلى الناس .. وعلى
نفسنا ... مصر كلها رقاصات ... انت بقى رقاصة؟

—أنا بسعى أكون أكبر رقاصة؛ بس الشغلانة لمت!!!!

(مذكرة ١٩)

بقايا مذكرة لم يتبين أولها ولا التاريخ ..

لقد طال انتظاري خلف الباب .. وقد أرهقت كوني مثل الثعبان على الأرض كي لا يروني حتى الآن لا أسمع سوى بعض الضحكات المكتومة، وهمهمة الزميله الممتلئة .. قال لها بصوت مرتفع:

—مش هينفع .. أنا عندي ولد وبنت،، وسمعتي ومكانتي ... مش هينفع.

—بس انت عرضت عليا قبل كدة!!

—كان وقتها ينفع ..

—وايه اللي حصل؟

—مش هينفع وخلاص ..

—وأنا مش هفضل كدة!!

—امشي....

هرعت بالقيام والابتعاد... ومن كثرة الارتباك نسيت أن الباب
الزجاجي سوف يفضح أمري.. وصلت إلى درجات السلم المؤدية إلى
الطابق السفلي وهي تفتح الباب من الداخل وهو خلفها يقول:

—كان فيه حد؟

—مش عارفة!! أنا خايفة!!!

—من ايه؟

—أحسن يكون حد شافنا أو سمع حاجة!

—وتفتكري هيصدقوا اللي هيتقال؟

—ليه لا؟!

—يا بنتي انتي من دور عيالي... وأنا راجل متدين..

يسود الصمت.....

حتى إنني سرحت قليلاً مع تلك الكلمات.. حقاً إنها متعة... هذه
العادة كيف لم أمارسها من قبل!! ولماذا لا أمارسها دوماً...

لست وحدي الذي امتلأت بالاتساخ؛ فهناك أو هنا من صنع الاتساخ
لنقع فيه نحن أو أشباهنا.

طال خيالي لأفاجئ:

– بتعمل ايه هنا؟

– نسيت الشنطة.

– تحب أجبهالك؟

– لا خلاص .. بكرة... مفتاح الأوضة مش معايا.

– أنا معايا هروح وأجبهالك بسرعة ..

أسرعت على درج السلم خائفاً .. ولا أعلم لماذا!! من الجائز أن بيت
الزواحف لدغته مميتة إذا اقتربت أكثر من اللازم، أو أنها أول شيء
من كل شيء له خوف! غداً سوف يزول الخوف، وسأتمكن أكثر من
الاختباء عندما أتمرس تلك العادة...

لقد طال واستطاري خلف الباب ما وقد ارضقت كوني حبل الشيطان
على الشرف من لاي روني ... حس الذي لا اسمع سوى بعض
الضعفان المتوترة واهم من التي حيلة المصانعة
ثم قال لها بصوت حمر رفع :
- حس صينغ ما انا عندي ولد و بنتا و سمعتي و طلاتي ..
حس صينغ

- بس أنت عرّضت عليا قبيال آله

- كان وقتها ينفخ

- عايشه اللي صهره؟

- عيش صينغ و فلاح

- و أنا عيش صفضل آله

- اعشى

صهر عت بالقياء والابتعاد .. ومن لثرة الدر تباك نسيب ذن الباب
الزجاجين سوف يفزع زحري كما وصلت والى درجاء السلام المؤدية
إلى الطابق السفلي وهي تقع إلباب من الداخل وهو خلصوا
يقول :

- كان في صر ؟

- عيش خارقة .. أنا خافية

- من خاية ؟

- لا حسن حد يكون دنا فنا زو سبع ماجة

- وتفتري صهدوا اللي اصحا صيتقال ؟

- ليه لا ؟!

- يا بنتي انتي من دور عيالي .. وانما راجل عتدين

بسود الصبغ .. حتى بان سر صت قليلاً فع تلك

اللاهات كما دها وانوا صدة .. هذه العانة كيف لم

ذ طاريسوا من قبح .. ولماذا لا طاريسوا دوماً ؟!

لست وحدى الذى احتللت بالإتساع ففيناك ذو لصنا
من صنع الإتساع لنقع فح فيه نحن ذو أنسبا لصنا ،
طال فيما لثافيا ؛

- بتخل وإيه لصنا ؟

- نسيت الشلطة

- تعيب أجبوا لك ؟

- لذ خلاص .. يلا .. وضاع الموضوع مش مطايا

- أنا مطايا .. صروح أجبوا لك بسوة

أسرحت على دبلج السلام فائفا ما ولا أعلم لحازا ما من
البحائر بان بيت الزواجر لدغته صيغة واذا اقتربت
ألش من اللذرم ما ذو وانجا قول شرد من كل شرد له
فون ما عدا سينزل الخوف وسأتمن ألش من
الإفتباد خذنا ~~شخص~~ أتعرب تلك الخادة .

(مذكرة ٢٠)

"القاهرة ٢٠١٢"

عندما تتخلى عن كونك مواطن عادي وتندرج تحت سلطان السلطة
تكتشف الكثير وكجندي من جنود الكلية الآن .. فتح لي أبواب
المطبخ، حتى إن بعض المناهج التي تدرس مأخوذة من الانترنت!!
كل من كان ذا قامه لي ومثلاً يُحتذى به أصبح أقل من ذرة الرمل في
الصحراء .. دائماً الأشياء أجمل في بعدها .. ومع كثرة القرب تصبح
العيوب أكثر ظهوراً.

شاهدت قوة الوساطة .. شاهدت الظلم يتحرك وينهش في .. عندما
تلاعبت إحدى المعيدات بالكلام لابنة العميد، ونقلت ما نقلت على
لساني ... وكيف أصدر الفرمان بنفسي خارج المبنى .. وأنا الذي يعمل
هنا!!

تلك الانحيازات بين الفرق والأقسام وكل قسم بوكيله له جنوده
وحاشيته .. وجميعهم كالفئران تحت راية الرئيس .. والرئيس أقل من
الفأر تحت وطأة السلطة .. هذا المجتمع الصغير القذر كفيل بأن يوضح

لي المجتمع الكبير... انسحبت وتركت المكان الذي أحببته كطالب
أو كمواطن.. وذهبت وأنا كاره كل ما فيه.....

حينها التقيت بفتاة صافية لا يلطخها إلا هذا الموان الذي أقنعها بأن
كثرة المكياج على الوجه سوف تجعل منها قاهرة معاصرة!! تلك
الفتاة التي فاجأني بها أحد الأصدقاء طالباً مني أن تجلس الليلة في
مقر الشركة الصغير حتى الصباح لأنها آتية من إحدى المحافظات، وقد
تعرف عليها في إحدى الحفلات.. ثم قال لي:

—متفكرش "يارا" مش هتعجبك.. آخرها هتبات وتمشي.

ابتسمت وقد عرف فكري الذكوري..... بأنها سوف تجلس هنا
الليلة ونتحسس سوياً بروز أجسادنا.. أقنعني أنها لم تكن من الذين
أهواهم أو يجذبني أشكالهم!! تركت المكان..... وفي الصباح
ذهبت لأري فتاةً لم تتخرج بعد من طب.. ذات جسد ممتلئ قليلاً..
وابتسامة عريضة جميلة بعينٍ واسعة.. هذه الفتاة التي أرادت في
إحدى المرات أن تأتي إلى القاهرة وتقابلنا.. وأصرت أن تبتي هذه
الليلة في القاهرة.. عرضت عليها منزلي ولكن بشرط؛ أن نحتمي
سوياً كأسين.... استجابت ونهياتُ كصياد بأن أضع المخدر لفريسته
حتى يسهل عليّ ذبحها بسكين بارد.. ذهبنا إلى المنزل وجلست
أحتسي الكثير.. والقليل لها أغابها عن الوعي، حتى أتت بكل ما

في أمعائها.. ربطت على كتفي خائفة. لم تقدر على الكلام ولكنني شعرت في عينيها استنجاذاً مني!! ولكنها في حالة لا تستطيع أن تقاوم. خلعت عنها ملابسها التي أصبحت ملطخة بما جاء من أمعائها، وأصبحت أمامي شبه عارية بملابس داخلية فقط..... وضعت رأسها تحت الماء وأدخلتها الحجرة.. لم تفق تلك الفتاة المبتدئة إلا بالنوم. وضعت عليها الغطاء وهمست في أذنها:
—متخافيش مش هعملك حاجة.. نامي براحتك.

أغلقت الباب وذهبت.

أصبحت أنا وهي لا أحباب بل أقرب؛ ولا أصدقاء لكن أصدق.. علاقته لا تفسير لها.. لم يلمس جسدنا الآخر.. كنا نشارك الشقة نفسها كلٌّ منا له النصف.. حتى في تلك الليالي التي نشارك فيها السرير الواحد!

هذه العلاقة التي نضجت وجعلت أرواحنا تتلاقى.. كلٌّ منا يعرف عيوب الآخر.. تلك الفتاة العفوية ذات المكياج الملون إلى تلك الفتاة الساحرة بروحها وعملها كثيرة التنقل والترحال قد نضجت على يدي.... رغم صغر سني الذي يكبرها؛ ولكنها سوف تظل بمثابة الابنة التي سأظل أحبها..

المطاهرة ٢٠١٢

عندما تتخلى عن كونك حوالين عادى وتندمج تحت سلطان
السلسلة (تكتشف الكثير و تجدك من جنود اللية لأن
فتح لى أبواب المطبخ (حتى وان بعض المناهج التي تدرس
مأخوذة عن الإنترنت)

كل من كان ذوقه له و مقال يستدى به أصبح رطل من
ذرة الرحلة في الصحراء (دائماً الأشياء التي تجعل في
بندرها (و قد كثرة المقرب تصبح العيوب التي ظهوراً
شهدت قوة الوسيلة ما شاهدت الظلم يتحرك وينحس
في عندما تجد جسمنا بعدنا المعينات و نقلت كلام لينة
العيدر (و نقلت ما نقلت على لسانى ...
وليف (صدم الفرحان بنظر ضارب العيس و أنا الذي يصل
لنا)

تلك ~~الإنجليزية~~ الإنجليزية بين الفرق والقسماً (كل قسم
بوتيله له جنوده و طائفة (و جميعهم الضمران
تحت راية الرئيس (و الرئيس أقل من الفارق تحت وطأة
السلسلة (هذا المجتمع الصغير القدر (فصل ثان
يوضح لى المجتمع اللبى (و انسميت و تزلت الامكان
الذى اصبته الطالب أو كوالين (و ذهبت و أنا كاره
كل حافيه ...

حينها، التقيت بفتاه صافية لا يلطّفوا إلا هذا
الصوت الذي أقتنعوا بأن كثرة العيالي على
الوجه سوف تجعل منها قاهرة وعاهرة)
تلك الفتاة التي فأجس بها ثم الذي مهدت لها بالاً
أن تجلس الليلة في قصر الشركة مع الصبح)
لأنها آتية من إحدى المحافظات القروية
ولا تعرف ثم في القاهرة) وقد تعرف عليها في
إحدى الحفلات لجانده مغموه في المنصورة)
ثم استطرد قائلاً :

- حاتفرش " يارا " حش صقعيك) ذكرها
صبيان وشمس .

والتسمت وقد عرف قلبي المذكورك ... يا فتاه سوف
تجلس هنا الليلة وتشمس سوياً بروح أجسادنا)
أقتنع أن فتاه لم تكن من الذين أرواهم أو يجذبني
أشكالهم .

تريد أن أمان ... وفي الصبح ذهبت لأرى فتاة
لم تتعجب بعد من حين المنصورة) ذات جسد
عشيق قليل) وابتسامة عريضة جميلة
يعين واسعة .

هذه الفتاة التي أرادت في إحدى المرات أن
تأتي إلى القاهرة ، وتقابلنا ثم أصررت أن
تسبب هذه الليلة في القاهرة ، عرضت عليها
فنزلي ، ولأن بشرى أن فرتس سوياً كأسان ...
إستجابت وتوحيات تصياد بأن أضع المصير
لفرستى حتى يسهل على ذبحوا بسكين
بارف ، ذهبنا إلى المنزل ، وولست أفتس
الكثير والعيل لولا ذهابها عن الوعد ، حتى
أنت بطلنا في أوقاتنا ، ربطت على كتف
خائفة ، لم تستطع الكلام ، وللت شعرت
في عينها ، واستجد من كوالدها في حالة لا نستطيع
أن نأخذ .

خلعت حنوا حاد بسوا التي أصبحت حلقمة بها
هاد من ذواتها ، وأصبحت زحاص ثبته عارية
بهد بس حافية فقط ، وضعت رأسها تحت
الماء ، وودفلتوا الحجرة ، لأن تفيق تلك الفتاة
المبتدئة إلى بالانوا .

وضعت عليها الخنود ، وصمت في ذنوبها ؛
- حذافيس من صحتك حابة ، ناصير اصك ،
أخلة الجاب ، وذهب .

أصبحت ذنبا وهي لا أحبها بل أكرهها (ولا أصدقها
لأن أصدقها) علاقة لا تفسر لها ما لم يلمس
بمس كلنا هنا الأخر (كما نتشارك المشقة نفسوا
كلنا ~~ص~~ هنا له النصف هي من تلك الميائل التي
نتشارك فيها السرير الواحد)

هذه العلاقة التي نصبت وخلقنا أرواحنا متداخلة
كل منا يعرف عيوب الأخر بل كل شر عن الأخر ما
تلك النقا العضوية ذات الميائج الملون إلى تلك
القناة المسامة بروحها وخلقوا تسب التنقل والترحال
قد نصبت على بيدي ... رغم صغر مني الذي
يكبرها (وللتوا سوف تظل بمثابة الجنية التي دواماً
وأيدياً أرحمها)

(مذكرة ٢١) "القاهرة ٢٠١٥"

الثالثة صباحاً منتشياً على القهوة أنتظر حرز . . صوت الفضا يجعلني
خاوياً أكثر . . جلست ثلاثة أيام حبيس شقتي القابعة بين العمائر
العالية . . اخترتها لأنها قديمة ومازالت محتفظة بأصالتها رغم صغر
حجمها المكون من ثلاثة طوابق فقط . . لا يحرسها بواب أو أمن .

تؤمن لي شر الناس من حولي . . عندما تصعد إحدى الفتيات التي
أغرق معهم هارباً من وحدتي حتى وإن البعض ظن أنني مالك العقار!!
أتذكر في إحدى المرات التي عدت وبصحبتى فتاة . . أوقفني أحد
سكان العمائر الفاخرة العالية وأبلغني أنه يريد واحدة يقضي الليلة
معها . . صرخت بوجهه بأني لست بقواد!!

حينها هددني بأنه سوف يبلغ الشرطة لكثرة النساء اللواتي تأتي
إلي أخبرته بأن نذهب الآن إلى القسم ويريني ماذا سوف
يفعل لا أعلم من أين أتت لي الشجاعة لأقول هذا وقد عرفت
أنه مستشار له قامته في المنطقة بأكملها!! ذهبت وبعد نصف ساعة
تركتها تذهب بعد أن أعطيتها حفنة من المال . . ترددت قائلة:

-ممكن ماخذش فلوس وأبات معاك ..

أكره هذه النساء اللاتي تأخذ ثمنًا لمتعتها . فمن المفروض أن لا تأخذ المال!! فكلُّ منا يستمتع .. وإن وجب أن يأخذ أحدُ المال فالرجل أحق بذلك بما يبذله من مجهود!

لماذا استمعت ل (حرز) بأن أجرب هذا النوع من النساء!! فلا تكفيني كيارا الساحرة، أو سارة الجميلة، أو واحدة من علاقاتي الأجنبية!!!
أين أنت يا حرز؟! فقد ضاقت بي روعي أيها الغبي .

رأيت شبحًا يأتي من آخر الشارع مهرولًا .. للوهلة الأولى ظننت أنه يجري باتجاهي ليقبض روعي!! هل حان الوقت؟

هل هو عزرائيل؟....

وقفت من جلستي خائفًا دون حراك، متأهبًا بأن تقبض روعي ... هل هذه الهلاوس قبل الموت التي أسمع عنها؟

قبل أن أجد ردًا على سؤالي وضحت الرؤية؛ لأجد حرز مهشم العظام والوجه!! الدماء تملؤه ممسكٌ بيدي ويجذبني بأن أجري بهذا الاتجاه.....

الثالثة صباحاً منتشياً على القهوة أنتظر
"صبري" ك صوت الفضا يجعلني غاوي (الشراب)
جلست لمدة أيام مبيس شقتي القابضة بين
العناصر العالية (اخترتوا لأننا قديمة وعاملت
محافظة بأصالتها رغم صغر حجمها العلون من
تلاوة طوابق فقط (هذه العنارة التي نسلت
بها كبحر سوا بواب ذو زمن .

تأ من أي بشر القاس من حولي عندها تصعد واهدي
الفتيات اللاتي (غرف وعوم هاهنا من وهدى)
حتى إن البعض ظن إنني حالل العنارة كما في واهدي
المرات التي عدت و بهديتي فتاة أوقفني ثم
سكان العناصر الماضية العالية (أبغضت لأنه
يريد بأحرارة يقضي معها الليلة (صرفت بوجه
بإني ليس بقواد !

حينها هددني بأنه سوف يبلغ الشرطة للثمة
النساء اللواتي تأتيين لي ...

أخبرته بأن نذهب الآن إلى القسم (ويريني
حازا سوف يفعل ... لدا أعلم من أين ذننا لي العجزة
لأقول لهذا وقد عرفت أنه مستشار (له
تأقته في المنطقة بأكلوا (ذهب وبعد نصف
ساعة تركوا نذهب بعد أن أعطيتنا حفنة
من المال (ترددت عائلة:

- حصلن ما أخذن من خلوس وزيان معك

أكره هذه النساء التي تأخذ من لعتقنوما فنن
المضروبين لأن لا تأخذ المال فلذلك هنا يستصح ما
ولان وجب لنا يأخذ ذهباً (المال) فالحل جعل ذهب
بذلك بها يبدله عن حبهود !
لماذا استمعت لحرث بلان فحرب هذا النوع
عن النساء (فلا تكفيني آياتها المساهرة)
أوسارة الجميلة (ذو فائدة من فداي الأجنسة يا
أين أنت يا حرثي) فقد ضاعت بس من آياتها
الغيب .

رأيت شيخ يأتي من ذلول الساع مهوراً (للوجهة
الذولى ظننت أنه يجري بإتجاهي ليقبض رومي)
هل كان الوقت ؟ هل هو عن رائييل ؟
وقفت من جلستي فائفاً دون حراك ما فتأ هباً
لأن تقبض رومي ... هل هذه الولدوس قبل
الموت التي أسمع عنها ؟
قبل أن تجرد رد على سؤال ما وضعت الرقوية
لأجد حرث موشم العظام والوجه (والرداء
تملؤه) حصلاً بيدي ويجذبني بلان فحرب
بؤنا الإتجاه ...

(مذكرة ٢٢)

صوت الحمام أيقظني لأجد نفسي بملابس غير ملائسي .. على
أريكة بها الخشب فقط!

فقرات ظهري تؤلمني .. لا أستطيع فتح عيني وقد أغرقني زبل
الحمام

هل هذا حلم أم هلاوس؟! ما زلت هنا منذ أمس أرى مرة أخرى
شبح حرز يحدثني:

-ايه يا عريس صباحية مباركة .

الشبح أصبح اثنين وبجانبه امرأة ... هل هي امرأة الشبح؟

ما هذا الخبل الذي أفكر فيه!! يجب أن أفيق وغبت عن الوعي
مرة ثانية.....

صوت الحماة (وقظني) لأجد نفسي بهلايس
خير حلايس (على أرياسة ... بوا الخشب فخطم!
فقرات ظهري تؤلمني ما لأستطيع فتح عينس
وقدر خرقني ذبل الحماة ...

هل هذا حلم أم هلاوس حانقالت لنا من (القدس ما
أرى مرة أخرى شبح مرنز إحداثس :
- يا به يا عريس صباوية جبارلة .

الشبح أصبح إنسان وبجانبه امرأة ... هل هل
يا امرأة الشبح ؟

حاضرا الخيل الذي أظفر فيه) يجب أن أفيق)
وخبيا عن لوعس مرة ثانية

"يارا"

الخامسة عصرًا ... أجلس بجانب الشرفة المطلة على شارع رمسيس ..
وقد تحولت أبواق السيارات إلى حفلة صاخبة .. ينتشر منها العادم في
هيئة أشباح تخنق الجميع ..

لا مجال للمارة ... ولا السيارات!

عندما يمر أحد الأشخاص المهمين ظانين بأن مؤامرات الكون
تستهدفهم، أو بالأرجح هم يعلمون جيدًا ما يفعلون وماذا سيكون
رد الفعل إن لم يؤمنوا أنفسهم ... أتذكر عندما قامت الثورة في
البرازيل أخذوا رئيس الحكومة ووضعوه في صندوق القمامة ... هذا
أفضل مكان لمن هم مثله ... يُصاب الطريق بشلل أكبر حتى يُبتر منه
الشخص المهم ويعود محاولاً العودة لعادته!

نفذت سجائري .. ولا أريد أن أذهب لأشتري واحدة .. أخاف أن
يفوتني لقاؤه!!

" يحيى " .. أنتظرك بجانب الشرفة التي دائمًا تنظر منها في ذلك
الفندق الرخيص .. لماذا أحببت هذا المكان المليء بالضوضاء؟

ما الذي يشيرك في تلك الأماكن المليئة بالناس والوجوه الباهتة؟! لا علم
ولا ثقافة!! لا أخلاق حتى إنهم تناسوا أنهم بشر.. يسرون كالموتى.
السادسة ولم تأت... مازلت بجانب الشرفة. أرى في عادم السيارات
وجهك، وكلما زاد العادم كونت منك جزءاً حتى يختفي مرة أخرى
مثلك.....

(مذكرة ٢٣)

حل الليل.... فقد أصبحت الرؤية شبه معدومة! ثقل دماغي
كثقل الفيل. لم يكن من الصعب فتح عيني؛ فلا رؤية إن فتحتها أو
أغمضتها.. أسمع بوضوح ضحكات أنثى رقيقة.. اجتهدت أن أسند
جسدي واقفاً في مكاني.... لا أجد ملابسي، ولا أجد محفظتي
وموبايلي.... سرقت!؟

لا يهم.. أريد أن أعرف هل هذا يوم الحساب!؟!

ولكنني أعرف أن القبر ضيق.... هل أنا من المؤمنين!؟
فالمساحة هنا واسعة... مظلمة ولكنها واسعة.. ويجب أن الضحكات
الآتية لحوار العين....

أريد أن أرى حوار العين التي باسمها قُتل الملايين تحت راية الإرهاب
رغبةً في حوار العين!

هذه المعادلة المضحكة... تقتل لتفوز بامرأة!

إذا قابلت أحد الإرهابيين يوماً سوف أبلغه أن يذهب إلى حرز، وسوف
يأتي له بنساء كثيرة من مختلف الأذواق.. ولا داعي للقتل.

ما هذا الذي أفكر فيه؟!.....

حرز..... تذكرت تلك الليلة التي عرفني على أحد نسائه مقابل
بعض المال....

دخل حرز إلى قبري مبتهجًا وضوءٌ خفيفٌ يتسرب من خلفه.. بصوت
سكارى يحدثني:

—ايه يا عم "يحيى" هتنام طول اليوم وتسيب مراتك كدة!! دي واكله
وشي برة، وشوية وهتنط عليا.

ما الذي يقوله هذا المنحط؟!!

—أين أنا؟

سألته ليخبرني بأني في شقته المتواضعة على أسطح أحد المنازل، وأنا
جالس بغية الحمام!

فقد أصررت ليلة أمس أن أنام وسط الحمام، معللاً ذلك بأنهم سوف
يأخذونني ويحلقون بي إلى السماء.... هذا حلمي منذ الصغر!!

قطع حديثنا فتاةً سمراء اللون متناسقة الجسد.. ترتدي عباءةً سوداء
وشعرها ذهبي طويل. تزيحه من مكانه واقفةً بجانب الأيمن.. تضع
يدها على شعري من الخلف وتقبل خدي!

–ايه يا قلب قلبي!! وحشتني من امبارح .

–انتي مين؟!

–أحا مراتك .

–انتي هبله؟

–آآاه هبله وحببتك .

يقف حرز وكأنه أمام فيلم كوميدي .. هستيريا ضحك لم أرها من قبل!

أبعدت يدها الثلجة عن جسدي وخرجت من الغية لأجد ضوء القمر مكتملاً أمامي .. بعد الكثير من أكواب القهوة والأكثر من السجائر بدأت أن أستعيد توازني

وعرفت في حديث أشبه بالهزلية بيننا نحن الثلاثة أنني تزوجت تلك العاهرة بالأمس تحت تأثير الكثير من مخدرات الهلوسة

وها أنا الآن في مأزق بورقتين عرفي في يد تلك المجنونة ذات الجسد الرائع!

–والعمل؟

سألتهم ...

—مفيش ياقلبي .. انت جوزي وأنا مراتك .. تحب نعيش فين؟ عندك
ولا عندي؟

—بس يا بت بطلي هبل وقطعي الورقتين اللي معاكي ... وإلا والله
أخلي عيشتكوا سودة ...

هذا التهديد بمثابة نكتة نطقت بها بالنسبة لهم!

وأخذ حرز هذه الفتاة التي لم أعلم اسمها حتى الآن وقبلها أمامي!

دقيقه أقف متفرجاً ... عبث ... عبث ... ما هذا؟!!

رد حرز:

—يا عم ولا تضايق نفسك .. نقطعهم وأتجوزها أنا .. أنا غلطان

لقيتك بقالك تلت أيام قافل على نفسك مكتعب، جبتلك الحتة
بتاعتي تقضي معاها ليلة مستحملتش!! اتجوزتها من ورايا ... ينفع

كدة يا صاحبي؟!!

ويضحك!

—اخلىص يالا .. هات الورقتين واخلىص .

—طب ما تتظربنش علينا يابن الذوات .. انت اللي بوست رجلي
نتجوز والله!

ثم أخرجت من حمالة صدرها ورقتين بخط يدي وأعطتهم لي ... ولم
تركز إن كنت واقفاً أم لا

انقض حرز علي نهديها أكلاً إياهم؛ كالكلب الجوعان عندما يجد
قطعة لحم ملقاة في الشارع.

نظرت حولي لأجد ملايسي ملطخة ومتسخة يبدو أنني تقيأت عليها ..
وبداخلهم محفظتي وكل متعلقاتي . سحبتهم في صمت بعد أن
أصبحت عرايا تماماً يغطيهم ضوء القمر..... لا وجود لي أمامهم
وأصبحت أنا الشبح لديهم غير مرئي .

معلنين حقيقتي الغير موجودة في هذا العالم.....

هل الليل ... فقد ذهبنا الرغوية شبه
معدومة (نقل دماغنا لنقل الفيل) لم يكن
من الصعب فتح عيننا فلا رغبة ان نفتحها (او
انغمثتوا) اذ سمع بوضوح كلمات انش رقيقة (ما
اجتهدت ان اُسند جسدي واذق حلاسي .
لا اجد حلايس) واد اجد محفوظات و موابيل
سرقية ؟!

لديهم ... اريد ان اعرف هل هذا يوم الحساب ؟
ولكن اعرف ان القبر ضيق ... هل انا من المؤمنين ؟!
فالمساحة هنا واسعة ... مظلمة وللتواواسعة (ما
ويجب ان تكون الضمائم اللذية اجود العين ...
اريد ان ارى صور العين اللذات بأسرها عقل العالين
تحت تلبية البرهاب رغبة في اجود العين !
صحة المعادلة المفصلة ... فصل لتفرض باصررة !
اذا تحالفت اهد الارهابيين يوماً (سوف نبلغه
ان يذهب والس صرنا) وسوف يأتي له انشاء
كثيرة من مختلف الاذواق (واداعي للقتل .
ما هذا الذي اظن فيه ؟!

عمرى قد كثرت (تلك الليلة التي عرفني على
أحد نساء هذه مقابل بعض أهل ...)
دخل عمرى إلى قبرى (صبتوجاً) و هو ذو هضم
يتسرب عن خلفه بصوت ستارى يجرئى ؟

- و ايه يا عم " يعيس " لعننا طول اليوم
و تسب مراتك كده ديه و آله و مش بره
و سوية و لعننا عليا .

حالىزى يقوله هذا الفحط ؟!

- آنا حين ؟

سأله ليعبرى بانى فى سفته الهموا هذه على
أسطح و اهدى المنازل (و آنا جالس فى غيبة الحمام !
فقد أهديت ليلة أهدى ذنابنا وسط الحمام و خللنا
ذلك يا نهم سوف يا هنوى و يملقون بس إلى السماء
لهذا جلس عند المرعى !

قطع هدينا فقاة سهراد اللون (حنا سفة
الجمد (تتردى جمادة سوداد و شعر ذهبى
طويل ما تروى عمرى من قتانه ليتقف بجانبى
الذي من) تضع يدها على شعرى من الخلف و تقبل لى !

- وايبه يا قلب قلبس وهشتس من واصبارس .

- وانس مين ؟!

- اها صراتك .

- وانس صبله ؟

- آه صبله وهيتك .

يقف صرنا ورائه (اما ضيلم كوميدي) لهيسقرا

ضحك له آراهها من قبل !

أبعدت يدها الصلابة من على جسدي (وظهرت

من الغيبة لأجد ضوء القمر ملتصق بعاس .

بعد اللعير من أبواب القهورة والذئب من السجائر

بدأت أستخدم تواني في ما وعرفت حديث (شبيه

بالهنزلية بيننا نحن الثلاث) يا مني نزهت تلك

الخالصة بالأمس تحت تأثير مخدرات الهلوسة)

وحا أنا الذئب في طانق جورقتين عرض في يد

تلك المجنونة ذات الجسد الراضع !

- والعمل ؟

سألتهم

- حافيش يا قلبس (وانت هونك وانا

صراتك ما أحب زعيش مين ؟ عندك ولا عندي ؟

- بس يا ببت يا بطل هبل وقطع الورقين
اللي معاك ووالد والله هعقل عيشتموا مسودة

هذا التويد بمثابة تلمحة نطقت بها بالنسبة لهم !
وأخذ صرنا هذه الفتاة التي لا أعرف واسمها حتى الآن !
وقبلوا أمان !

دقيقة وقفت فيها متفرباً ... عبت ... عبت ...

حاجنا ؟

رد صرنا :

- يا عم ولا تضايق نفسك نطقهم
وأتجوزها أنا يا أنا غلطان لقيتك بذلك
تلت أيام قافل على نفسك ملتب يا ببتك
الحممة بتاعتك تقضي معاه ليلة يا واستاهلش
وأتجوزتوا من ورايا ... ينفع لكم يا صاحبي

ويفنهك ...

- يا خلص يالدا (صحت الورقين ودا خلص)

- لمب حاتنظريتش علينا يا ابن الزوات يا

وانت اللي بوسيت رجس على شان نتجوزنا .

ثم زجرته عن طاعة صهرها ورققين بقط يدي
وأعطتهم لهم ... ولم تتركني أنت واقفاً ثم

لا ...

بعد أن وانقض شهر من علي فوريوا (لأن أياهم)
كالللب البجان عندما بعد قطعة اسم حلقاه في
الستارخ .

نظرت حولي إذ بعد ملابس حلقفة و مسفة
يبدو أنني تقيأت عليوا و بعد ظهور حلقتي و كل
متعلقاتي اسجبتهم في صمت .

فقد أصبحنا عرايا تماماً يغطيهم ضوء القمر
لا وجود لي (عاصوم) و أصبحت أنا الشبح لديهم
غير حركتي حلقين حقيقتي الغير موجودة في هذا
الكالم

(مذكرة ٢٤)

التقيت ب (حرز) عدة مرات متقطعة بعد حادث زواجي من امرأته!
بعضهم بمفردي والآخر مع كيارا التي كانت تصر أن تلتقي به بنفسها
من آن لآخر، غير مستكفية بما أنقله لها عن لسانه .. حتى هذا اليوم
الذي أرادت فيه الذهاب إلى منزله .. بالتحديد القبر الواسع الذي
أخبرتها به وهي تضحك مثلها مثل حرز ذلك اليوم ... تركتهم
لأشتري سجائر لتكمل حديثها معه عن فضولها بحياته التي أصبحت
لها قيمة بعد أن وجدتها كيارا!

في طريقي إلى العودة وقبل أن أصعد لهم رأيت كيارا مهرولةً خارجةً
من باب العمارة بملابس مقطعة!! صارخةً في وجهي بأن حرز أراد أن
يغتصبها!

صعدت إليه لأجده غارقاً في دمائه مغمى عليه على أثر ضربها له
بزجاجات البيرة تركته وأخذت كيارا مسرعاً خارج منطقتة التي
يوجد بها الكثير مثله .. وإذا عرف أحد ما حدث سوف نُقتل هنا، ولا
أحد سوف يعرف

تلقيت بعدها تليفوناً من حرز يخبرني بأسفه، وأنه لم يكن في

وعيه .. وأن أكثر ما يؤلمه أن ترفضه أنثى! وأن كيارا كانت (بتتماييص عليه) .. ولما أذن لغوله النهوض تمنعت!! حتى إنها أخبرته بأننا متزوجان . ولكن جوائز يوم من الأيام أن حكى لها كل أسرار حياته وأمه وأخواته سوف تجعله ينال ما يشاء .. الأمر الذي جعله ينقض عليها.....

أصدق هذا الهائج الناقم على نساء العالم .. فأنا أعرف كيارا جيداً؛ وأعرف وسائلها التي تجعلك في حيرةٍ من أمرك .. هل تريدین أم لا.....!!؟

وسيلة الترفيب وليس التمكين .. أخبرته أن ينسى ما مضى .. وإن أراد أن تظل علاقتنا طيبة (منفتحش الموضوع ده تاني) .. وأني قبلت أسفه .. ثم أخذته إلى كيارا متأسفاً لها .. ولم يلتقيا مجدداً .. ولكني أبقيت على لقاءه لا أعلم لماذا!!!

والتقيت بعنق عمرة حران فتقطعة بعد حادث زواجهم
من واصرته ! ما بعضهم بمفردى والأخر مع كيارا
التي كانت تصبر أن تلتصق به بنفسها من أن لا أفرد
غير مستغفية حال نقله لها عن لسانه ما هي
لهذا اليوم الذي أرايت فيه الذهاب إلى منزله
بالتحديد القبر الواسع الذي أخبرتها عنه وهي
تفردك مثلها مثل عرنى ذلك اليوم -

تذكرتهم لأشترى سجاشر) لتكفل حديقها معها
عن فضولها بحياته التي أصبح لها حقيقة بعد أن
أوجدتها كيارا !

في طريقى إلى العودة وقبل أن أهدى لهم ما رأيت
كيارا حورية فخار من باب العنصرة بملابس
مقطعة) صارفة في وهي بأن عرنى أراد أن
يقتصبوا !

صعدت إليه لأجده فخار في دهائه كرفص عليه
أثر ضميرها له بنجاحات البيرة ... تتركته وأخذت
كيارا حمرنا خارج من لففتها التي يوجد بها الكثير
حمله) ولذا عرف أحمد ما حدث سوف نقل لهما
ولا أحمد سوف يعرف ...

تلقيت بعدها بغيره أياما تليقون من حزن تجبني
بأسفه (وانه لم يكن في وعيه كما واذن ذلك ما يؤلمه
أن تعرفه (صره) ما واذن كما كانت
(بتماير عليه) ولما أذن لقوله النوفس ()
تمنعت ... حتى وانما أظبرته جاثن يوماً من
الذي لم يكن لها كل أسرار حياته (وانه
وافتوته (سوف تجعله ينال ما يشاء (الذكر الذي
مغله ينقض عليها ...

أصرت لهذا الواقع الناقم على نساء العالم ()
فأنا أعرف كما جيداً و أعرف وسأثروا التي
تجعلك في صيرة من أصر (هل تريد أم لا ... ؟
وسيلة الترغيب وليس التمهين .

أظبرته أن ينس ما حرض واذن أراد أن تظل حلقنا
طبيبة (حانفتش الموضوع ده تاني) واذني جعلت
أسفه (ثم أخذت إلى كما عتأسفاً لها .

لم يلتقوا مجدداً (لكن أبعيت على لقاءه لـ
أعلم لماذا ! ...

"النهاية"

أملك نسخة من مفتاح الشقة .. مازلت أحتفظ به . كنت أعرف أنني
سوف أعود يوماً حتى في الفترات التي تملك مني الاكتئاب والعزلة
كنت أعرف أن العودة من أجل أحبتي ضرورةً لا بد منها.....

فتحت باب الشقة الموصدة بإحكام.....

رائحتها مازالت موجودة بين الخشب والأثاث .. وكل حركة أخطوها
أجد خصلات من شعرها الذي دوماً ما يتناثر في أرجاء المكان الذي
تجلس به، وكأنها هنا.....

تحسست الأريكة التي نمت عليها كثيراً في الماضي .. انسبت بداخلها
على أن تخرج من غرفتها.....

يوجد بجانب الغرفة لوحة سيربالية .. كنا نتأملها ونضحك لجهلنا ماذا
تعني؛ ولكنها أعجبتنا!! مثلما تركتها منذ عامين مازالت الشقة...
تلك الشقة بالمنصورة التي شهدت كل نجاحاتها وسقطاتها، حتى
عزلتها في غربتي..... مازلت خائفاً أن أفتح حجرتها ولا أجد لها
بالداخل!! هذا الأمر الواقع لا أصدقه حتى الآن.

عدتُ ولم يبق لي إلا ثلاث حرز،، كيارا،، سارة!

لم يبق لي إلا ثلاثُ علاقاتٍ هشة، أزحمت بهم رُوحِي هرباً من الوحدة.. ولم يتأثروا كما تأثرت أُمِّي ويارا!! علاقات كثيرة غير مجدية من أجل البقاء حياً! من أجل التعايش في مجتمع ينفرننا منه، ومنظومة تقتل كل بريء ونظيف بداخلنا

حتى علاقاتي السطحية الكثيرة بمختلف الناس لم تجد نفعاً!! لا تملأ فراغات رُوحِي . . . فقد حاولت الذهاب للممر المؤدي لي، ثم عدت لغير عادتِي!!

أخاف الموت بعد أن أقبلت عليه عدة مرات . . لماذا لا أقترحهُ الآن بعد أن أصبح لا أحد لي؟!!

بحثت كثيراً عن أحدٍ من الثلاث! رحلت كيارا بعد أن انتهت من بحثها تاركة كل من كان في بحثها في المستنقع ذاته دون خطوةٍ للأمام.. وحصلت هي على الدرجة العلمية التي طالما أرادتها عن الدول النامية!

"التجانس الطبيعي والمادي والحضاري والبشري.. الوحدة الطبيعية والسياسية.. من السبق الحضاري إلى التخلف،، من امبراطورية إلى مستعمرة،، من الطغيان الفرعوني إلى الثورى الاشتراكية،، الأساس

الطبيعي الخارجي للبناء الحضاري،، مركزية رغم الامتداد،، كثافة بلا هجرة،، تعدد الأبعاد.. التوسط والاعتدال والتشدد.. الاستمرارية والانقطاع.. ثنائية الوطنية القومية.. تلك إذن في رؤوس موضوعات هي أبرز خصائص شخصية مصر التي يتعين علينا الآن أن ندرس ونحلل بالتفصيل". (١)

هكذا بدأت كيارا بحثها مقتبسة من المؤرخ "جمال حمدان" عن موسوعته "شخصية مصر" .. وقد وجدت الكثير من ورقها البحثي ملقى بجانب المذكرات.. يبدو أن "يارا" أقنعتها بالاطلاع عليه.. الشيء الذي فشلت أن أقنعها أنا به.. فكانت دائمة الحرص أن لا يقرأ أحدٌ بحثها قبل اكتماله ونشره.. وفيما يلي بعضٌ من البحث في أوراقٍ متفرقة.. كُتب بالإيطالية:

(١) - موسوعة جمال حمدان (شخصية مصر)

"ورقة ١"

العالم الثالث هو أكبر متحف عالمي للحفريات السياسية ومخلفات الطغيان والاستبداد الشرقي القديم والمرجعيات البدوية البدائية العتيقة المتحجرة.. فضلاً عن أنه غدا أبشع معقل للديكتاتورية العسكرية والفاشية الشرعية الاغتصابية الفاسدة نصف المتعلمة أو نصف الجاهلة.. ووكأنما قد حكم عليه بأن يستبدل الاحتلال الاجنبي القديم أيام الاستعمار , بالاحتلال الداخلي الجديد تحت الاستقلال , هذا استعمار خارجي , وهذا استعمار داخلي .

مصر مجتمعٌ مدنيّ يحكمه العسكريون كأمر عادي في الداخل .. وبالتالي وظيفة الجيش الحكم أكثر من الحرب .. ووظيفة الشعب التبعية أكثر من الحكم .. وفي ظل هذا الوضع الشاذ المقلوب ؛ كثيراً ما كان الحكم الغاصب يحل مشكلة الأخطار الخارجية والغزو بالحل السياسي ، وأخطار الحكم الداخلية بالحل العسكري .. أي إنه كان يمارس الحل السياسي مع الأعداء والغزاة في الخارج ، والحل العسكري مع الشعب في الداخل .. فكانت دولة الطغيان كالقاعدة العامة :

(استسلامية أمام الغزاة؛ بوليسية على الشعب)!!

ولذلك؛ مصر مرشحة في ظل خيارها ليس بين السيء والأسوأ؛ بل بين الأسوأ والأكثر سوءاً.. لتتحول في النهاية من مكان سكن على مستوى وطن إلى مقبرة بحجم الدولة...

"ورقة ٢"

ممزقة لآخرها ولا يوجد بها سوى....

"نستطيع أن نعبر عن الموقف الجيوستراتيجي كله بإيجاز وتركيز في سلسلة من المعادلات الاستراتيجية:

—من يسيطر على فلسطين يهدد خط دفاع سيناء الأول.

—من يسيطر على خط دفاع سيناء الأوسط يتحكم في سيناء.

—من يسيطر على سيناء يتحكم في خط دفاع مصر الأخير.

—من يسيطر على خط دفاع مصر الأخير يهدد الوادي.

"ورقة ٣"

المأساة الحقيقية في ذلك أن مصر لا تأخذ في وجه الأزمات الحل الجذري الراديكالي قط؛ وإنما الحل الوسط المعتدل .. أي المهدئات والمسكنات المؤقتة. والنتيجة أن الأزمة تتفاقم وتتراكم أكثر.. ولكن مرة أخرى تهرب مصر من الحل الجذري إلى حل وسط جديد، وهكذا..... بعبارة أخرى؛ مأساة مصر في هذه النظرية هي الاعتدال، فلا تنهار قط.. ولا هي تثور أبداً.. ولا هي تموت أبداً.. ولا هي تعيش تماماً.. إنما هي في وجه الأزمات والضربات المتلاحقة تظل فقط تنحدر وتندهور، تطفو وتتعثر، دون حسم أو مواجهة حاسمة تقطع الموت بالحياة أو حتى الحياة بالموت!! منزلة أثناء هذا كله من القوة إلى الضعف، ومن الصحة إلى المرض ومن الكيف إلى الكم.. وأخيراً من القمة إلى القاع... غير أن النتيجة النهائية لهذا الانحسار المستمر المساوم أبداً وصفات التراجع إلى مالا نهاية هي أنهم سيصلون يوماً إلى نقطة اللاعودة إلى الحل الوسط.. وعندئذ سيفرض الحل الجذري الراديكالي نفسه فرضاً.. ولكن بعد أن يكون المستوى العام قد تدنى إلى الحضيض، والكيف قد تدهور إلى الكم، والمجد إلى محض التاريخ...

وكما كان يصور "بيتري" شعب مصر فيقول:

—شعب مصر مجد قوي يعتريه الضعف كل بضع مئات من السنين —
طبيعة الأشياء — فتتعرض بلاده للغزاة من الجنوب والغرب والشرق،
فيتعرض هو لمؤثرات مختلفة . . لكنه بالرغم منها ظل يحتفظ بطباعه
وصفاته القومية، وبشخصيته المتميزة بارزة المعالم .

"ورقة ٤"

ممنزقة هي الأخرى

ثم يطرح أهم سؤال في عصرهم الحديث : لماذا تعاصرت ظاهرة
"التحرير" في العالم عمومًا وليست مصر لوحدها؟؟!!

والرد يكمن في "Zeitgeist" (١). لقد أصبح التحرير هو
أيدولوجية الشعوب النامية التي طال كبتها.. وإنه المناخ السياسي
الذي جعل الثورة على الاستعمار ظاهرة كوكبية في العالم كله. لا
علاقة لتوقيتها بعمر الاستعمار الخارجي أو الداخلي.. دون أن يقلل
هذا البتة من دور الكفاح الوطني نفسه.

(١)-

ويدل مصطلح « زايتهجايست » (Zeitgeist) وهو مأخوذ من الكلمة الألمانية تسايث جايزت التي
تعني روح العصر عمومًا على المناخ الفكري والأخلاقي والفكري الذي تتسم به حقبة معينة أما كلمة
حركة فهي مستخدمة للدلالة على الطبيعة الحركية والتغيير. ومن هنا، تدل تسمية حركة زايتهجايست
The Zeitgeist Movement (TZM) على منظمة تسعى وتشجع على إحداث
تغيير في المناخ الفكري والأخلاقي والثقافي السائد في عصرنا هذا.

وسجن حرز... ولم يبق إلا سارة.... ذهبت إلى بيتها.. استقبلتني
أمها داعيةً عليّ أنا ويارا بأننا السبب في خروج سارة من تحت طوعها!!
وكانها خرجت من الجنة!!

عرفت لاحقاً أنها عملت بإحدى الجمعيات الخيرية... ذهبت لها وما
أن رأتنني صفعتنني على وجهي باكية!

صارخةً بوجهي؛ كم كنت أنانياً، وكم كنت وقحاً... لم أصددها
عما تفعله بي ولا أوقفته عن صراخها وسط مقر الجمعية التي تعمل
بها... لا أستطيع!! أو كنت أستحق ما تفعله..... أفرغت كل ما
بداخلها حتى هدأت.....

شارحة لي عما فعلته يارا معها، وكيف كانت في السنة الماضية قبل
انتحارها.....

أكملت مسيرة كنت أفعالها مع سارة لإحساس بداخلي أنني أستطيع
أن أغير شيئاً؛ وهو أخذ سارة من براثن أمها.. ولكنني فعلت ذلك
في الماضي فقط لإرضاء غروري.. لكن يارا استطاعت في مرضها
حين تقمصتني وأصبحت أنا أن تفعل الخير الحقيقي.. أخذت
سارة من أمها وأعطتها شقة تسكن فيها مدفوعة الأجر لمدة سنة..

وأوجدت لها عملاً وظلت حتى موتها بقليل تعطف عليها وهي غير واعية... وصلت لأشد مرضها حين قصت شعرها تتعامل مع ساره بنبرتي وهيئتي . حتى إن سارة في الآونة الأخيرة بدأت الخوف منها بشدة لحزم يارا عليها!! لم تكن سارة ناكراً للجميل الذي فعلته يارا معها؛ فوقفت بجانبها خلال مرضها، حتى بعد انتحارها.. رتبت كل إجراءات الجنازة، حتى قبل أن يعرف أهل يارا بالوفاة.

أخبرتني سارة بأن يارا بحثت كثيراً عن حرز، الذي بدوره انضم إلى خلية إرهابية محلية الصنع بعد أن خرج من الحبس بسبب ضربه لأمين شرطة.. بدأ أن يتخذ نشاطاً آخر للبلطجة باسم الدين؛ وهو قطع بنطال النساء "المتبرجات" في نظره بالموس، ومحاولاته لحرق البارات بوسط البلد بإلقاء المولوتوف عليها مراراً وتكراراً.. وبعد أن فشلت يارا في ردهه أبلغت عنه إلى أن سُجن مرة أخرى.. كيف فعلت ذلك يا يارا؟! وكيف تقمصتني وجلبت بداخلي الشجاعة في هيئتك!؟

لم تكتف!! فذهبت إلى كيارا حتى تعرفت عليها وهي عدوها اللدود.. كانت دائمة الغيرة منها.. كانت تراها تأخذني منها وتستغلني لإتمام بحثها اللعين.. هذا البحث الذي أوضح لي خبايا الوطن النتنة أكثر!!

يوم الحادث المشعوم الذي جعلني أترك البلاد؛ حاولت الوصول إلى

كيارا ولكن روحي المثقلة حينها منعتني!! وحاولت أيضاً كيارا الوصول إليّ عدة مرات ولكنها لم تكن بالإلحاح أو الاهتمام الذي حاولت به يارا.. تعرفت عليها وأصبحتنا أصدقاء.. حتى إن أفنعتها بهيئتي وقصة شعري وارتدائها ملابس بدوقي أن تقنعها بممارسة الجنس معها.. كيارا تلك الفتاة الجامحة التي تفتح ساقها لرغبتها.. عكس سارة الفتاة المقهورة التي تفتح ساقها رغماً عنها.....

آآآآ... ما كل هذا؟ كيف غبت وكيف عدت؟! ولماذا؟!!

أريد أن أدخل حجرتها وأراها!! ولكن قد فات الآوان.. لماذا دفنوا جثتها وكانت تريد أن تُحرق بعد موتها!! لا تريد أن ياكلها الدود وتصبح عظماً عفنة.

اتجهت إلى الممر المؤدي إلى غرفتها ثم عدت.. ثم اتجهت مرة أخرى متقبلاً أنها ليست بالداخل.. فتحت باب الحجرة لأجدها لم تكن كسابق عهدا مثل باقي الشقة.. يبدو عليها الاتساخ، غير مرتبة.. يفترش الأرض الكثير من الورق وبعض الدماء على عدة أوراق.. الكاميرا مازالت واقفة هنا بداخلها شريط.. يبدو أن لا أحداً رأى ما يحتويه.. فقد أخبرتني سارة بأنها فتحت الشقة وقد أعطتها يارا نسخة من المفتاح لتجدها غارقةً في دماؤها.. حتى جاءت سيارة الإسعاف ونقلتها.. لم يأت أحد من الشرطة لفحص الشقة ويرى إن

كانت ماتت مقتولةً أم منتحرة!! لا يهمني هذا الهذل الآن .. فقد
ماتت.....

انتقيت جميع الأوراق الموجودة في الغرفة وقرأت ما بها .. وقد قررت
نشرها كما هي دون ترتيب؛؛ بقطرات الدماء،، وبعض من القهوة،،
والكثير من دموعي .

قرأت ما كتب وكأنها أنا .. حتى ذكرياتي التي حكيت لها عنها
كتبتها!!

لم أكتب يوماً مذكرة .. وكنت دائماً أقول لها يوماً ما سوف أكتب
مذكراتي .

كتبتها لي وكأنها تكتب بلساني ومشاعري؛ حتى أدق
التفاصيل.....

أدرت الشريط الموجود بالكاميرا التي أهدتها إياها منذ أربعة أعوام،
ولم أكن أعرف أنها ستسجل عليها يوماً ما رأيت.....

(فيديو أخير)

تجلس يارا أمام الكاميرا ويبدو عليها الاتزان!!! ولكن بملابس مهترته
متسخة، حالقه شعر رأسها.. متشبهة في هيئتها بالرجال؛ أو بالأخص
شخص يشبهني.. حركة الجسد والكلام والنبرة. لو لم أعرف ما
حدث كنت تشككت أنني أمام مرآة بملابس متسخة!! يوجد في
معصمها شريط أحمر، وكف يدها من الخارج بقايا حقنة الجلوكوز..
أصبحت نحيفة من أثر الأدوية.. فقد ظلت قرابة العام ونصف بداخل
مستشفى لعلاجها من مرض الانفصام.
-متخفش مش هتكون لوحدك.....

نطقت جملتها الأولى بصوتها! ثم تغير لأسمع صوتي خارجاً من
جسدها الهزيل!

-لم ترحل بمفردك؛ فمنذ فراقنا رحلت بروحي معك.. تجردت من
ملابسي كي أفقد ما تمسكت به يوماً.. وتركت للمارة إشارتي أن
يشرفوا بحضرتي.. أعدك بأني وافية على بقائك.. انسحبت ولم تكن
علتي سوى شفاء.. لا تخف؛ اختر الطريقة التي تراها مناسبة وسوف
نفعلها سوياً.

ثم نهضت من مكانها واتجهت إلى الكاميرا كأنها شخصٌ حيٌّ يقفُ
أمامها .. احتضنته وقبلت العدسة، ثم نظرت إلى عينه:

— كنت الأب الذي يحميني، والأخ الذي أحبني، والصديق الذي
أخلص .. وها نحن نلتقي من جديد

أفضل الموت بطريقتك التي اخترتها لي قديماً .. لا أعلم كيف فعلتها!!
فاستغرقت الكثير من الوقت كي أصبح مثلك

أمسكت بسكينٍ صغيرٍ تمشي به بين معصمها إلى أن قطعت شريانها
وهي تضحك والدموع تملأ عينيها.

— لا تقلق إن كنت تراني بالأعلى .. فإلى أن تجف عروقي سأملؤها
بدمائك ونخلط الروح معاً.

ماتت قبل أن أودعها

أتذكر بعضاً من الرسائل التي كنا نرسلها لبعضنا البعض عندما يذهب

أحدنا خارج البلاد .. كنا نرسلها بالطريقة القديمة خلال البريد :

"رسالة ١"

سافرت حينها " يارا " لإحدى البعثات في النمسا، وأبلغتني أنها سوف تغيب ثلاثين يوماً .. وأتذكر حينها أنني كنتُ غارقاً في إحدى غيباتي الفارغة، ولم أوصولها إلى المطار .. وأرسلت لي حينها رسالة توبخني على هاتفي .. فأرسلت لها:

" نادراً ما أعجز عن الوصف فالحب أنواع؛ نوع يصدر .. ونوع يستورد .. والأخير أنتِ ...

انتي عارفة .. بيقولوا الإحساس بالأمومة يخلق منذ الولادة؛ وكذلك الإحساس بالأبوة!

فاكرة لما سألتني (عارف يا يحيى أنا شفت معاك كام مرة شروق الشمس؟)

ساعتها افتكرتني ردي بالسكوت اني مش فاكرة!! عارفة سكوتي كان ليه؟

سكوتي كان بعدد اللحظات اللي بينا،، والذكريات والأحلام ..

والصبح اللي بتحكى عنه . انتي متعرفيش منه غير لون الشمس
والمكان، وممكن الحوار .. بس عمرك ما هتفتكري لون لبسك ولا شكل
تكشيرتك أو ضحكتك، وجمال عينك بالدموع .. ولا حركة ايدك
ولا عمرك فاكرة في كل صبح من دول كنتي حاسه بإيه .. ولو فاكرة
عمرك ما هتعرفي أنا كنت بفكر في ايه ..

يا صديقة؛؛ ثمة قصص لا تنتهي عند نهايتها . ربما لأن بعضاً مما
عشناه فيها يظل معنا كالنبض، كدقات الحياة .. كموسيقى تهج فيها
حواسنا، فتتشعر صمتها . كلما ران عليها الضجر ...

في كل صبح من اللي عدتیه ألف تفصيلة تبني حياة .. وكل صبح
مليون لحظة ومليون فكرة ومليون شكل للحب!

لا حب حبيبة ولا صديقة .. ولا انتي بنتي ولا انتي أمي .. ولا حتى
صاحبتي .. ولا وش عدى جنبي مرة فاكراه

انتى كل دول!

فكيف تجرأتي بالحكم على كل أشكال الحب في الأرض!! وكل ما
ينبتق منه الحياة؛ ولم تدعيني آخذك بين ذراعي، وأنت تعلمين أن
غيابك سيطول ثلاثين يوماً؟!!

وكيف تركت لي كلمة واحدة تراوغني (الانتحار)!!!! "

"رسالة ٢"

صغيراً تيقنت أن الأصدقاء من السهل أن يتحولوا إلى أحباب؛ ولكن لا يمكن للأحباب أن يعودوا مرةً أخرى كالأصدقاء!! هناك شيءٌ لا أعلمه جيداً.. ونادراً أن تتحول تلك إلى ذلك.. فلماذا أمارس معك كل الحيل بأن نبقي أصدقاء؟ هل من الممكن بأنني لا أريد خسارتك!!؟؟

ردت بورقة فارغة فارغة أوصلتها لي تحت فتحة باب شقتي وبها كلمة واحدة:

—غبي....

"رسالة ٣"

—"العمق... ليس مجرد كلمة.. عمق المشاعر بيني وبينك لم يستوعبها من نال نشأةً غير نشأتنا.. أو بمعنى أدق كما ربيتك.. فأنا من جعل من قلبك محرابي، وجعلت عقلك كتابي، أنشأت فيك

أحلامي، وكل نقصاني في الحياة رمته فيك . كنت أمارس كل عاداتي
الطفولية .. العنفوانية .. الأنانية .. والاستبدادية والحيوانية!

والقليل من الحب أعطيك، فترميم به نفسك وتلهميني . ولم ألاحظ
يوماً أن الصورة التي ظللت عمري أرسمها لامرأة قد اكتملت فيك!!
تلك الصورة .. هي الصورة ... أصبحت حقيقية في الفراق .

أتذكر ردها على تلك الرسالة :

"رسالة إلى من علمني :

لم تكن يوماً غير مرشدي إلى النور .. ولم تكن أبداً أنانياً .. فكل
أنانية تصدر منك تشكل في سعة الصدر .. وكل حيوانية منك
علمتني الفرق بينك وكل رجال الأرض .. وكل عنفوانية منك جعلتني
أنضج، كما يعاقب الأب ابنته .. وكل استبداد منك حب ...
أما عن طفولتك الطائشة؛ فكانت أكثر ما يؤلمني .. فقلب الأم يخشى
صراخ طفلها؛ وإن جن جنونه ."

وهنا لم أملك الرد.. فكل كلماتي ذابت، وكل حواسي توقفت، فلم
يكن للوقت وقتٌ وقد غابت...

ولم يبق غيري هنا... وبكلي هناك؛ معها!!

لم أفهم في بادئ الأمر كل هذه المصطلحات التي أخبرني بها طبييها.. انفصام؛ اضطراب.. فأوضح لي أنها تتوهم بأنها شخصٌ يُدعى "يحيى" .. تتحدث بنبراته وتتشبه في هيئته.. لم يتوقف الأمر إلى هذا الحد. فأصبح لها عادات غريبة... كتسجيل فيديوهات لتحكي قصة حياته وقراءة مذكراته بصوتٍ عالٍ، مقتنعةً أنه انتحرت وإنها سوف تذهب إليه.. لم تفلح محاولات الأطباء في ردعها عن ذلك.. واستنفذوا كل ما يملكون! ولم يجد طبييها إلا أن يخرجها من المستشفى أو يضعها في مشفى للحالات المماثلة حتى تنتهي آلامها....

لم أستطع تحمل ما حدث سابقاً فتركت البلاد ذاهباً حول العالم، فاقداً نفسي!! كنت أنوي الانتحار وأخبرتها كثيراً عما أنوي قبل غيابي.. ولكنني تعافيت..

استطعت أن أجعل من حالتي نشوةً للحياة؛ أو فقدت شجاعة الاكتئاب عندما يملك منك فتفعل أي شيءٍ حتى وإن كان الموت.....

قررت العودة بعد عامين. وقد فقدت ما أملك!! ظننت أنني انتحرت وسبقتني. لم يقف الأمر عند ذلك فقد أخبرتني سارة أنها ذهبت إلي أمي وقبلتها وكنت دائماً أحدثها عن اشتياقي لأمي وهي أمام عيني

وكيف تربيت أني أحجل أن أنام في حضنها أو أن أقبلها!! حتى في
شدة مرضها كنت أبخل عليها بالعاطفة متخفياً وراء تماسكي بعدم
الانهيار . كم كنت أشتاق أن أقبل أمي وأقول لها أتذكر لحظة وفاة
والدها (جدي) عندما نظرت لي لتهون عليّ خوفاً عليها :

—لا تقلق فلم يمت أبي؛ فأنت ابني وأبي وزوجي الذي أُنجبتة

ذهبت يارا وقبلت أمي حتى إنها باتت معها ليلةً كاملةً في حضنها . .
وإلى كيارا ومارست معها الجنس . . وإلى سارة وأحببتها وأنفقت عليها .

فعلت ما كنت أريد فعله مع أناسٍ حكيتُ عنهم أمامها . حتى
وإنها انهالت بالعصا على الضابط الذي ذهبنا إليه سوياً قبل غيابي
وأخرجوها من الحجز بأمر من المشفى!! فعلت كل ما افتقدته وما
أردته!!

سجلت الكثير من الفيديوهات على أن تراني في نفسها . . حتى وإنها
تخيلت طريقة انتحاري! كيف كنت بهذا الغباء!!؟ كيف أتيت بعد
موتها؟!!!!!!

تاركةً لي أثراً لا يغني ولا يشفي وجعي ، ولا يجعل من ندمي
شيئاً . . كيف كنت أنا نانيا؟!!

أمي ماتت بحسرتها في غيابي . . ويارا انتحرت بمفردها ونحن المتفقان

على فعلها سويًا . . لا أملك الشجاعة كي أفعلها الآن!! فأنا دنيوي
أحببت كل ما فيها حتى شقائي أردته واخترت لطريقي الوحدة حتى
أتعب وأعود لأجدد ندمي بالفراق!!!

أليس من الممكن أن يكون الأمل هو ما يدفن حياتنا في انتظار
فرصة جديدة . . الأمل أحياناً شيءٌ قاسٍ ومخذل!! بل في أغلب
الأحيان . . هذا الدافع الوهمي الذي يجعلك تجري بشريط حياتك
دون توقف؛ ظناً منك أنك في مرحلة تمهيدية للأشياء العظيمة التي
ستحدث لك . . فتصبح كلُّ مرحلة فترةً هتعدديها على خير . . هذا
العمل الذي تبذل فيه كل جهدك ووقتك دون أن تحبه هو بالطبع مجرد
بداية لك ستحكي عنها وأنت من أنجح وأغنى رجال العالم . . هذه
العلاقة التي حطمت كل ما تبقى منك هي بالطبع لم تكتمل لأنك
تستحق الأفضل وأن شريك حياتك الكامل آتٍ يوماً ما لتضحكوا
سويًا على علاقاتكم السابقة . . كل التعويضات المجزية آتية بضمان
الأمل!

الأمل الذي يصور لك كل هذا البؤس والضياع الذي تعيشه على أنه
مجرد سلمة مكسورة على درج السعادة التي تستحقها . . فتمر كل
فترة في حياتك على أمل أن تنتهي . . لتأتي فترههً بعدها تأمل أن

تنتهي... دون أدنى شك أو تساؤل إن كان ما يمبرك هي الحياة.

وإن لم يمنعك غرورك ومبالغتك فيما تستحق من إدراك أن نهاية هذا
السلم هو نهاية حياتك!!

لربما رقصت قليلاً فوق تعرجاته، وبحثت بين حجارتها عن معنى
لوقوفك عليه؛ دون الاندفاع لتخطيه... على أمل!!!

« انتهت »

القاهرة ٢٠١٧